

روايات مغربية للجيب

# أسطورة رأس ميدوسا

مكتبة  
TELEGAM NETWORK  
2020

ماوراء الطبيعة



مكتبة

Telegram Network

2020

«المكتبة النصية»

:قام بتحويل سلسلة

(ما وراء الطبيعة)

« ل.د. أحمد خالد توفيق »

:إلى صيغة نصية

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة



# مقدمة..

---

نعم لم أتغير..  
ما يزال اسمي هو (رفعت إسماعيل)،  
أستاذ أمراض الدم السابق وصيد أشباح  
هاو..، وما زلت غير متزوج.. وما زالت  
تسليتي الوحيدة هي مطاردة الرعب عبر  
المقابر المهجورة وفي أركان الغرف  
المظلمة..

٦

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

أسطورة رأس ميدوسا

## روايات مصرية للجيب

### ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنف مصري مائة في المائة  
لا تشوبه شبهة الترجمة أو  
الاقتباس

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر  
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف  
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض  
المرتكب للمساءلة القانونية.

---

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع ١٠٠٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع ١٦٠١٠ شارع كامل صدقي الفجالة-٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكري روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.  
4 شارع بدوي / محرم بك - الإسكندرية

روايات مصرية للجيب

٦

ما وراء الطبيعة  
روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

# أسطورة رأس ميدوسا

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٢٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧  
فاكس: ٢٨٢٧٠١٢

روايات مصرية للجيب



أسطورة  
رأس ميدوسا



لا تخذعنكم نبرة الوهن في صوتي ولا  
ثلوج الشتاء الزاحفة على ما تبقى من  
شعري..

أنا لم أنته بعد..!

على الأقل ليس قبل أن أحكي لكم قصة  
أخرى من قصص شبابي الذي أضعت  
معظمه - للأسف - جوار توابيت  
مصاصي الدماء.. أصغي لعواء  
المذءوبين.. وأحلم بالكوابيس..

اليوم أعتقد - إن لم تخني الذاكرة - أن  
الوقت قد حان كي أحكي قصتي مع  
كابوس من نوع جديد..، لقد عرفتم معي  
الرعب في إنجلترا.. في اسكتلندا.. في  
جامايكا.. وحتى في قريتي.. بل حتى في  
الشقة المجاورة لي..

الآن تعالوا إلى اليونان لنلقى (ميدوسا)..  
الكابوس الذي خرج من قلب الأساطير  
اليونانية إلى عالمنا الحالي..  
هناك. في تلك الجزيرة - كان أول لقاء  
لي مع (الميثولوجيا) اليونانية، ذلك اللقاء  
الذي لم يكن سعيدًا للأسف!...  
كيف.. ومتى حدث هذا؟..  
أغلقوا الأبواب وأضيئوا الأنوار..  
واسمعوا لما أقول..



## ١ - الاسطورة..

---

تقول الأسطورة الإغريقية إن (بروسيسوس) البطل المغوار كان واحدًا من هؤلاء الأبطال الذين تزخر بهم الأساطير اليونانية ؛ شديد الوسامة شديد البأس.. وهو - كالعادة - ابن (زيوس) من امرأة بشرية..

وعلى حين كان إخوته من الأب يمارسون أعمالهم.. (هرقل) مشغول بقتل (الهديرا).. (وأطلس) منهمك في رفع الكرة الأرضية.. و(بروميثيوس) معلق بين الجبال يتلقى عقابه الأبدية، و(جاسون) يبحث عن الفروة الذهبية ؛ كانت هناك مهمة أكثر تعقيدًا تنتظر (بروسيسوس)...

كانت (كاسيوبيا) الحسناء المغرورة قد  
بالغت في غرورها ووقاحتها إلى درجة  
أثارت حنق سادة (الأوليمب)؛ لهذا سلطوا  
على جزيرتها الفيضانات والزلازل.. ثم  
جاءت الطامة الكبرى حين أرسلوا  
للجزيرة تينًا مرعبًا اسمه (الكرakon)،  
وكان هذا التين يطلب - كالعادة - أن  
يقدموا له القرابين البشرية، وإلا أغرق  
الجزيرة بما عليها..

وهكذا وجدت (كاسيوبيا) نفسها مرغمة  
على تقديم ابنتها الجميلة (أندروميدا)  
لإشباع شهية التين الشره..، وهكذا كانت  
(أندروميدا) هي الضحية القادمة ما لم  
يحدث شيء ما..

وفي هذه اللحظة يصل (برسيوس) إلى الجزيرة.. وطبعًا يقع في حب الفتاة المختارة لقربان التنين، ويصمم على قتل الوحش لإنقاذ فتاته.. ولكن كيف؟.. إن هناك طريقة واحدة لكنها أفظع من التنين نفسه.. رأس ميدوسا..!

إن (ميدوسا) وأختيها هن أشنع ما ذكر في الأساطير اليونانية من مخلوقات، ويسمونهم (الجرجونات الثلاث)..، لقد كانت (ميدوسا) وأختاها فتيات طبيعيات جدًا حتى غضب عليهن (زيوس) فأحالهن إلى....

أولاً: تحولت الأيدي إلى نحاس...  
ثانياً: ازددن بشاعة وصار لسانهن مشقوقاً كلسان الأفاعي...

ثالثًا: تحول شعرهن إلى ثعابين ذات  
فحيح.. ولدغتها قاتلة..

رابعًا: - وهذا أسوأ ما في الأمر -  
صارت نظرتهم كافية لأن تحول من تلتقي  
عيناه بأعينهن إلى حجر..

خامسًا: نفين إلى جزيرة في البحر  
المتوسط لم تحددها الأسطورة حيث يعشن  
في الكهوف، وسط عشرات التماثيل  
الحجرية لأولئك البحارة التعساء الذين ألقى  
بهم الحظ العاثر على شاطئ تلك  
الجزيرة..

إنه عقاب قاس لكنه ليس أقسى عقاب في  
الأساطير الإغريقية.. فكما ذكرنا كان  
هناك عقاب (بروميثيوس) الذي شيد بين  
جبلين وفي كل يوم يلتهم الرخ كبده.. وفي

الليل ينبت له كبد جديد، وعقاب (سيزيف)  
العبثي الذي حكم عليه بدحرجة صخرة إلى  
قمة الجبل فكلما وصل القمة سقطت  
الصخرة للسفح، وعقاب (تنتالوس) الذي  
كلما حاول الشرب من النهر هرب الماء  
منه، وكلما حاول الوصول لتفاحة ارتفعت  
الأغصان لأعلى..، دعك من عقاب (إيكو)  
و(برسفونية).. وسواهم..

والآن... عليك يا (برسيوس) أن تقطع  
رأس (ميدوسا)!! ولكن كيف؟.. كيف يمكن  
مواجهة مخلوق بهذه الصفات؟.. دعك من  
السؤال الأهم.. كيف تقتل مخلوقًا دون أن  
تراه..؟!..

لكن (برسيوس) - مثله مثل (هرقل)  
و(ثيديوس) - بطل إغريقي أصيل.. يبحث

عن المتاعب حيث وجدت ويحمل قدره  
على كفه ولا يملك الاختيار..، لهذا يروق  
كثيرًا لسادة الأولمب..، ولهذا يتلقى زيارة  
من (هرمز) يحمل له بعض الهدايا التي  
تبرع بها كل من وجد لديه شيئًا يتبرع به..  
الخوذة التي تخفي من يرتديها.. والسيف  
الذي لا يضرب إلا ويصيب هدفه.. ثم  
الدرع البراق الشبيه بالمرآة.. لا بأس  
بتاتا..

والآن ينطلق (برسيوس) مع رفاقه عبر  
مياه البحر المتوسط قاصدين جزيرة  
الجرجونات الثلاث..، بالطبع حدثت لهم  
مئات المصائب والغرائب في رحلتهم مثل  
ما حدث لـ(جالون) و(أوليس) العائد من  
حرب طروادة..، ونحن لا نعرف مسار



الرحلة بالضبط ولا الجزيرة المختارة لكن  
من الواضح أنها قريبة جدًا من جزيرة  
(كريت)، ولن أطيل سرد القصة..

دخل (برسيوس) كهف (ميدوسا) وقدماه  
ترتجان كالـ (جيلي) وهذا من حقه.. حوله  
عشرات التماثيل الشنيعة لبحارة ماتوا قبل  
أن يفهموا ما الذي قتلهم، الوجوه  
الصارخة.. الأكف المرفوعة.. كيف  
شعروا في اللحظة التي خرجت لهم  
(ميدوسا) من الكهف لترمقهم بعينيها  
الداميتين..؟! هل فهموا لحظتها أن حظهم  
العائر اختار لهم - بين كل جزر البحر  
المتوسط - جزيرة الجرجونات الثلاث  
ليغرقوا عندها؟! ترى هل تألموا؟!.. إذا لم  
يكونوا قد تألموا، فلماذا صرخوا؟

أسئلة عديدة لأبد أنها دارت في رأس  
(برسيوس) ورفاقه وهم ينسلون في حذر  
ما بين التماثيل باحثين عن ضالتهم عالمين  
أن هذه التماثيل ستزداد عددًا بعد دقائق ما  
لم تحدث معجزة ما..

إن من شاهدوا هذه المشاهد في فيلم  
(صدام الجبابرة) - والتي خلقتها عبقرية  
ساحر المؤثرات البصرية (راي هاري  
هاوزن) - لن ينسوا هذا الجو الكابوسي  
أبدًا.. إلا أن (ميدوسا) لم تكن تزحف  
كالثعبان ولم تكن تطلق السهام.. ولم تكن  
تعيش وحدها!..!

والآن تصحو (ميدوسا) من النوم وتفتح  
الثعابين في شعرها..، فيخفي الرجال  
وجوههم خلف الدروع..، وتصرخ.

- من ذا الذي يجرؤ على إزعاج  
(ميدوسا)؟!!

فيصيح (برسيوس) مدارياً وجهه:

- أنا (برسيوس).. جئت لأقتلك..!

وتتقدم (ميدوسا) - وشقيقتها نائمتان  
لحسن الحظ - نحو أول الرجال فيتعثر  
وتلتقي عيناه بعينيها فيصرخ صرخة  
رعب لا توصف، ويتحول لحمه إلى  
حجر..

وهنا توجد نهايتان مختلفتان للأسطورة.  
النهاية الأولى: تقول إنها رأت وجهها في  
انعكاس درع (بروسيوس) البراق  
فصرخت وتحولت لحجر..، النهاية الثانية  
تقول إنها تقدمت نحو (برسيوس) الذي  
استجمع شجاعته وحاسة المكان عنده

ليطير رقبتها بضربة واحدة ثم يبادر  
بالفرار قبل أن تصحو أختها..

إن هناك شيئاً واحداً مؤكداً - إذا أمكننا أن  
نقول ذلك عن اسطورة - هو أن  
(برسيوس) قد قتلها..، ولم يمس شقيقتيها،  
وأنه عاد بالرأس في كيس ليظهره أمام  
التنين في اللحظة المناسبة قبل أن يبتلع هذا  
حبيبته (أندروميذا) - حبيبة (برسيوس)  
طبعاً وليس التنين - وليتحول الوحش إلى  
تمثال حجري.. وتسود السعادة البلاد..

الآن حق ل (برسيوس) أن يستريح  
ويتزوج ويهنأ بالأ..

أما نحن فلن نستريح حتى نعرف الإجابة  
على سؤاليين..

ماذا حدث للرأس؟.. وماذا كان مصير  
الجرجونتتين الباقيتين؟ بالنسبة للسؤال  
الأول لم تتفق الأساطير على إجابته.. ثمّة  
حكايات تقول إن (برسيوس) رمى الرأس  
في مياه البحر..، وثمة حكايات تقول إنه  
أهداه لـ (حيرا) زوجة (زيوس) لتتخلص  
به من أعدائها، وثمة حكايات تتجاهل  
الأمر برمته تاركة ذلك لخيالنا..

السؤال الثاني ظل - وسيظل - بلا إجابة..

ماذا حدث للشقيقتين؟!!

والآن تعالوا نغلق كتاب الأساطير تاركين  
(برسيوس) مع عروسة الجميلة  
و(ثيديوس) في المتاهة مع المينوطور..  
و(ديدالوس) يرفرف بجناحين من شمع مع

ابنة إيكاروس الذي أرجو ألا يقترب كثيرًا  
من الشمس..

تعالوا نترك كيوبيد وسايكي يتهامسان..  
وشارون مبعوث الجحيم مع كلبه ذي  
الرأسين..

لنترك هذا العالم الساحر ونعود إلى  
أرض الواقع..

إلى الجزيرة الصغيرة الهادئة حيث يقوم  
عالم الآثار اليوناني (ستافروس  
دندرينوس) ببعض الحفريات.. وحيث  
ستحدث كارثة بعد قليل..



## ٢ - هي..

---

جزيرة (كارادوس) في بحر (إيجه)..  
الخامس عشر من أبريل عام ١٩٦٦...  
كان الحر شديد الرطوبة يلتف حول كل  
شيء.. خانقًا.. كريهًا.. لزجًا، وهناك في  
خيمته والبعوض يحاصره والذباب يلتهم  
طعامه بدا لعالم الحفريات العجوز  
(ستافروس دندرينوس) أن الحياة لا يمكن  
أن تكون أسوأ ما هي عليه في هذه  
اللحظة، ومن حين لآخر كان ينظر إلى  
الصخور المكونة لمجموعة الكهوف  
الملاصقة للشاطئ للشاطئ شاعرًا بالاشمئزاز  
والمقت لكل شيء..

ها هو ذا يزحف نحو السبعين من عمره  
دون أن يضيف شيئاً أو يعرفه أحداً.. في  
كل مرة يحدث نفس الشيء، إناء محطم  
من الخزف أو قطعة بلهاء من تمثال يتيه  
بها فخراً وسروراً لدقائق ثم يكتشف أن  
أحدًا لا يعباُ بكل هذا.. ما هي الفائدة  
المرجوة من أن تعرف أن جنديًا يونانيًا  
كسر طبقه في هذا المكان أو ذاك منذ  
ثلاثين قرنًا؟!.. الواقع - كما أدركه في هذه  
اللحظة - أنه أضاع حياته عبثًا.. وبرغم  
احتفاظه بصحة لا بأس بها فإنه كان من  
أعماقه يشعر أن عمره قد تجاوز المئة  
بمراحل، ولم يكن يدري لماذا يستمر في  
أي شيء.. ومن الذي قرأ كتبه الثلاثة



المملة عن (أنماط الخزف في الحضارة  
الهالينية)؟!..

ثم بعد ذلك يأتي الحر.. الحر اللعين..  
شرب كوبًا آخر من الماء سرعان ما  
تحول إلى قطرات عرق على جبينه..،  
وكان قد ربط رأسه بمنديل كعاداته ومن  
فوق المنديل وضع الكاب الواقي من  
الشمس فبدأ كأحد جنود الحملة الإنجليزية  
في الهند..، اليوم هو آخر أيام الحفر في  
هذا الموقع وبعد هذا.. وبعد هذا مقبرة  
أخرى والمزيد من الأواني الخزفية  
المحطمة.. وهكذا حتى يأتي اليوم الذي لن  
يصحو فيه من النوم صباحًا وسيقول القس  
كلمات كثيرة عن (شهيد العلم الذي

فارقنا).. وبعدها سينسى الجميع حتى أنه  
وجد أصلاً..

ومن بعيد كان (نيكوس) قادماً يترنح  
والمعول في يده..

- سيدي.. هناك جدار من الصخر..  
صخر هش للغاية، وقد حطمت جزءاً  
كبيراً منه هل ستأتي معنا؟!!

- جدار من الصخر؟.. ولماذا بحق  
السماء؟.. قال (نيكوس) بعد أن بصق على  
الأرض ومسح شاربه

- لا أدري.. المقبرة هي المقبرة.. لكن  
هذا الحائط يعطي انطباعاً ما.. كأنه يعزل  
شيئاً ما عن باقي الكهف..

للحظة تأمل عالم الحفريات العجوز في  
معنى كلمات العامل.. جدار يعزل شيئاً ما

عن باقي المقبرة.. غريب.. ولكن ماذا  
سيسفر عنه كل هذا سوى المزيد من  
التمائيل المحطمة؟؟

- وبعد سيدي.. هل نستمر؟

نظر عالم الحفريات إلى ساعته.. إنها  
الخامسة مساء وبعد قليل سيخيم الظلام..  
ربما كان من الحكمة أن يؤجل هذا كله إلى  
الغد، ثم إن هؤلاء البؤساء لم ينالوا قسطًا  
من الراحة من التاسعة صباحًا، نعم..  
يستطيع التاريخ اليوناني أن ينتظر ليلة  
أخرى.. جفف قطرات العرق من فوق  
زجاج نظارته وغمغم:

- اسمع يا (نيكوس).. يمكنك أن تواصل  
الحفر إذا كان الفضول يملكك.. لكن لا  
تجبر أحدًا من الرجال على العمل إذا لم

يرد ذلك..، إن غداً لناظره قريب.. ثم  
جفف عرقه وتثائب:

- أعتقد الآن أنني بحاجة للحمام والنوم..،  
فليذهب (زيوس) للجحيم..

ابتسم (نيكوس) من خلف شاربه الكث،  
وأخرج سيجارة من صندوق معدني:

- وإذا وجدنا شيئاً.. هل نناديك؟!..!!

- بالطبع.. ولكن ليس لشيء أقل من

(أجاممنون) 1 نفسه..!

واستدار (ستافروس) متجهاً إلى كوخه -

ومسكنه - وهو يمسك بظهره متوجعاً.. في

حين عاد (نيكوس) إلى العمال ليصرفهم..،

وعلى حين بدأ الرجال في العودة مغبرين

غارقين في العرق التفت (ستا فروس) إلى

كبير عماله، هاتفاً:

- (نيكوس).. كن حذرًا.



وفي كوخه غسل (ستافروس) وجهه في طبق به بعض الماء وصابونة.. وارتدى نظارته، ثم إنه صب لنفسه بعض (الأوزو) في كأس وشرع يجرع في مرارة..، المروحة الصدئة تنن ولا تفعل شيئًا تقريبًا فقد فرغت بطاريتها..

أخرج دفتر مذكراته وقلم الحبر.. وأشعل موقد الكيروسين طالبًا بعض الضوء حيث إن الظلام كان قد بدأ يزحف.. وفي الدفتر خط الكلمات التالية:

- آخر يوم في الحفر.. يبدو أن هناك شيئًا يستحق الاهتمام.. لقد وجد (نيكوس) نوعًا

من الجدار المزدوج في المقبرة.. ويقول  
أن هذا الجدار يدارى شيئاً ما.. شيئاً  
حرص من حفروا المقبرة على عزله..  
وجرع جرعة أخرى من الكاس...  
منذ شبابه لم يشعر بهذا التوتر الغريب..  
شعور غامض يداهمه أن شيئاً ما  
سيحدث..، هذا الشعور لم يداهمه سوى  
مرة واحدة يوم أن ماتت زوجته في ذلك  
الحادث الشنيع.. السيارة.. النيران.. و...  
ما هذا؟..

هل سمعت هذه الصرخة؟.. هذه الصرخة  
المريعة الطويلة القادمة من أعماق  
الجحيم؟.. كاد قلبه يتوقف عن الخفقان.. ثم  
إنه هرع لباب الكوخ حيث الغروب قد بدأ  
يصبغ المرتفعات باللون القرمزي.. لا شك

في ذلك.. إن الصرخة قادمة من موقع  
الحفريات الذي يبعد مئتي متر عن هذا  
الكوخ..

(نيكوس) كان يواصل الحفر وحيثًا  
مدفوعًا بشغفه لمعرفة ما وراء الجدار..  
ماذا حدث؟.. انهيار؟.. ذئب؟.. كلا.. إنها  
صرخة غير عادية.. حتى الإنسان الذي  
يلتهمه ذئب في تلذذ لا يجد ضرورة قوية  
لأن ينهك حنجرته بمثل هذه الصرخة.. لا  
يوجد في الكون كله حافز يدفعك لأن  
تصرخ بهذا الشكل..

والآن هناك شيء واحد يمكن عمله..  
البندقية والكشاف..، وليهرع ليرى ما  
حدث، وليصمت وجيب قلبه قليلًا.. ليس  
الوقت مناسبًا للإصابة بنوبة قلبية..، لقد

حدث شيء ما.. وهو الوحيد الذي سمع  
تلك الصرخة، وهو الوحيد الذي سيرى ما  
أصاب هذا التعس (نيكوس)..



عند بوابة المقبرة اطلق شعاع بطاريته..  
لا شيء.. بقايا الحفر وأدوات العمال..،  
أدخل قدمه في حذر من الفتحة وخطا  
لداخل..، وشرع يدير شعاع البطارية على  
النقوش الجدارية المألوفة.. ثم تصلب  
الشعاع على فتحة بحجم رجل في الجدار  
المقابل..، هذه هي فتحة الجدار التي  
اصطنعها (نيكوس) الأمين ليدخل إلى  
الغرفة السرية.. ربما منذ دقائق..



اتجه إلى الفتحة وكنم أنفاسه وسلط  
الشعاع على الداخل.. غرفة خاوية تفوح  
منها روائح العفن..، تمثال حجري كامل  
لشخص جاث على ركبة واحدة.. وثمة  
بعض الدروع الصدئة مبعثرة هنا وهناك..  
إذن أين (نيكوس)؟..

سلط الشعاع على التمثال الحجري متقن  
الصنع إلى حد غير عادي.. الشارب الكث  
والقلنسوة.. والوضع الجاثي الذي لم يره  
في أي تمثال إغريقي من قبل.. ثم.. شارب  
وقلنسوة..؟!!

وهنا انتصب الشعر في مؤخرة رأسه..،  
وأعاد تأمل ملامح التمثال.. كلا..! هذا  
مستحيل..!.. لقد فهم..!.. أن هذا التمثال  
هو.. هو.. (نيكوس) نفسه!!..



بعد أن خرج من المقبرة.. وضع قرصين من (النتروجلسرين) تحت لسانه، وانتظر حتى هدأ قلبه من رفرفته.. ثم إنه بدأ يستجمع شتات أفكاره التي بعثرها الذعر الحيواني الجارف..، إنه لا يحلم.. والآن لا يوجد في العالم شيء يمكن أن يحول الإنسان إلى حجر.. لا شيء في العالم المادي، لكن هناك شيئًا واحدًا في عالم الأساطير.. شيئًا واحدًا يملك هذه القدرة.. وهو عالم آثار يوناني ويعرف تمامًا هذا الشيء..

سيعود للكهف ولكن بحذر..، عاد للفتحة في الجدار.. ودلف منها إلى الحجرة

الكابوسية.. كان تمثال (نيكوس) - كما قلنا  
- جاثيًا على ركبة واحدة يرمق في رعب  
شيئًا ما على الأرض.. شيئًا أزاح عنه  
التراب لتوه..

أغمض (ستافروس) عينيه في عصبية  
وجثًا على الأرض بين يدي التمثال  
وتحسس الشيء حتى وجده.. وجه.. أشياء  
طويلة تخرج حيث ينبغي أن يكون  
الشعر.. نعم!.. إنه هو!..، وفي حذر  
أخرج كيسًا قماشياً سميكًا من جيبه ودس  
فيه الشيء البشع.. ثم فتح عينيه ليجد أمامه  
وجه التمثال المليء بالرعب حيث جثًا  
على ركبة واحدة أمامه كأنما يتفحصه..



وفي الكوخ علّق (ستافروس) الكيس بما فيه على مسمار في غرفة النوم، ثم عاد مرتجفًا إلى مكتبه، وخط الكلمات الآتية:

.. لقد وجدنا رأس (ميدوسا)!.. وكلفنا ذلك غاليًا، إن المسكين (نيكوس) قد فوجئ وهو يحفر في التربة برأس ذلك الكابوس يرمقه أن هناك الكثير من الأسئلة وكثيرًا من علامات الاستفهام لكن الشيء المؤكد لي هو أنني على أبواب أعظم وأخطر كشف في هذا القرن.. رأس (ميدوسا)!..!



نعم.. هناك الكثير..، وحين يسلم هذا الرأس لقبضة العلم ليتم تصويره بأشعة جاما.. ودراسة جزيئاته وتحور الكربون

فيه.. وتشرّحه... و... و...، لقد كشف  
(كارتر) مقبرة توت عنخ أمون، أما هو..  
(ستافروس دندرينوس) فقد وجد رأس  
(ميدوسا)!.. رأس (ميدوسا) سالمًا  
ومحتفظًا بلعنته بعد كل هذه القرون..، في  
نشوة رفع نظارته السميقة على قصبه  
أنفه..

و... صوت الخرفشة هذا..

لقد نسي الفئران تمامًا!.. الفئران التي  
تملأ الكوخ والتي ستجذبها حتمًا رائحة  
الشيء شبه المتحلل..، نهض - وقد عزم  
أن يضع الكيس في خزانته حتى الصباح -  
حاملًا في يده مصباح الكيروسين...

في غرفة النوم وجد بالفعل الكيس وقد  
سقط من على المسمار وفأرًا يهرع منسلًا

من فوق عروق الخشب القديمة المبطنه  
للغرفة بعد إن ضبط متلبسًا..، انحنى جوار  
الفراش ليرفع الكيس وهو يسب.. ووضع  
المصباح على الأرض..

إن شرود الذهن يحدث للجميع.. وخاصة  
كبار السن.. وبشكل أخص يحدث للعلماء،  
لكن شرود الذهن ليس مبررًا لهذا الخطأ  
القاتل..

لقد نسي حذره للحظة.. ربع ثانية لكنها  
كانت كافية..

كان الكيس قد أنفتح عندما أسقطه الفأر..  
وهناك - جوار الفراش - وجد نفسه  
يحدق في العينين الجهنميتين لـ  
(ميدوسا)!!









لقد نسي حذره للحظة .. ربع ثانية لكنها كانت كافية ..

## ٣ - صداقات قديمة..

---

نهاية العام الدراسي في مصر..  
كنت في ذلك الوقت غارقًا حتى أذني في  
المحاضرات الختامية لطلبتي عن أمراض  
الدم، وكانوا يحاولون في خبث جعلي  
أنزلق بالكلام كاشفًا عن بعض الأسئلة التي  
تجول بخاطري والتي يمكن أن أضعها -  
لا شعوريًا - في ورقة الامتحان، وكنت أنا  
معتادًا على هذه المواقف وأحسن التلاعب  
بهم وتضليلهم حتى لا يعتمدوا كثيرًا على  
ذكائهم أو على حماقتي..

وفي ذلك اليوم الحار كنت أحدثهم عن سرطان الدم النخاعي ؛ حين لاحظت أن ثلاث طالبات جالسات يتهامسن في خبث ويرمقنني.. ويضحكن...

لقد اعتدت هذه المواقف من الفتيات..، وليس هذا العيب واضح معين في طباعي أو شكلي أو سلوكي.. بل هو - ببساطة - لأنني لم أتزوج بعد وقد بلغت الأربعين من العمر!، والمرأة تفهم أن يكون الرجل غيبًا أو جبانًا أو مجنونًا أو وقحًا.. تفهم هذا ولربما غفرته له.. لكنها لا تفهم أبدًا ذلك الرجل الذي لا يتزوج!.

إنها تسيء به الظنون وتنسج حوله. مئات العقد النفسية.. غير عالقات - سامحهن الله - أنه لم توجد في الكون سوى (ماجى)

واحدة، وكانت لي، ثم ذهبت ولم تترك لي  
(ماجبي) أخرى.. الأمر بسيط إذن...  
المهم أنني أزمعت أن أوجه لهن لومًا  
ما.. إلا أنني لاحظت أنهن يمسكن بجريدة  
ما تحت الطاولة يتفحصنها ويواصلن  
الهمس الماكر ويختلسن النظر لي..  
شيء ما في هذه الجريدة يتعلق بي  
بالتأكيد.. هذا غريب...

وفي الاستراحة توجهت إلى غرفتي..  
وفتحت درجي لأتفحص جرائد اليوم التي  
لم أقرأها بعد.. وفي إحداها وجدت  
ضالتي..، كانت هناك صورة صغيرة  
باهتة لي أنا و(هاري شيلدون) نبتسم  
للكاميرا في بلاهة.. وتحتها تعليق صغير  
يقول إن إحدى الجرائد الأمريكية نشرت

خبيراً عن خبير كمبيوتر أمريكي وأستاذ مصري استطاعا أن يكشفوا سر الزومبي في جامايكا وأن يوقعا مدير مستعمرة فرنسي أساء استغلال مرضاه...

هذا هو الخبر..، إذن نشروا بالفعل ذلك التحقيق الصحفي الذي أجروه معنا عند عودتنا من مغامرتنا الكابوسية السابقة في جامايكا..، وتسرب هذا الخبر إلى محررنا المصري..

لم يذكر الخبر اسمي لكن وجهي كان واضحاً في الصورة، وللأسف كان منشوراً في ركن صغير مهمل من الجريدة حتى أنني أنا نفسي لم أكن لألاحظه لولا أن لاحظته طالباتي الثلاث الخبيثات..

يا للفخر!..، لكم تمنيت لو يسمح لي  
العميد بتوزيع نسخة من هذه الجريدة على  
كل طالب وطالبة ليعرفوا كم أنا رائع!!..  
لكنه سينسفني حتما قبل أن أفعل.. وضعت  
الجريدة مفتوحة على تلك الصفحة في  
أوضح مكان في غرفة التدريس..، ثم  
شرعت افتح الخطابات التي وصلتني  
وكلي رضا عن العالم...



لم تكن المفاجآت قد انتهت..  
ها هو ذا خطاب من اليونان يصلني...  
وأنا لا أملك معارف في هذا البلد، لهذا  
تأملت المكتوب على المظروف في فضول  
متجاهلاً تلك الحروف اليونانية العجيبة..

كان هناك اسم بالإنجليزية.. اسم من  
أرسل الخطاب.. مسز (تاييئا  
كاراداكيس)..

أنا اعرف واحدة تحمل اسم (تاييئا)..  
لكنني لا أعرف هذا الكا.. الكاراداكيس..  
على كل حال فتحت الخطاب في توتر..  
فوجدت صورة جميلة - ومفرعة - بالقلم  
الرصاص تمثل رجلاً يقف ما بين  
مصاصي دماء وأشباح وهياكل عظمية..  
وهذا الرجل هو صورة كاريكاتورية لي  
أنا... وتحتها خطت حروف بالإنجليزية  
تقول: تذكر أن هناك دائماً مرة أخيرة!!..

فتحت الورقة المصاحبة للرسم فوجدت  
السطور التالية:

عزيزي رفعت..

لقد مر دهر كامل منذ سفرك عائداً إلى مصر..، ولا أدري حقاً إن كنت نسيتني أم لا..، أنا (تاييٲا ماكجفرت).. هل تذكرنا في جامعة داندي؟ كنت أنا من شلة (ماجي ماكيلوب)، كنت تجد صعوبة في تذكر اسمي.. ولكم كانت (ماجي) تغار عليك مني...

حسن.. لقد ذهبت تلك الأيام إلى الأبد..، أما أنا فقابلت شريك حياتي في أثناء زيارته لاسكتلندا.. عالم الآثار اليوناني الوسيم (ميخائيل كاراداكيس).. ومن لحظتها غدوت السيدة (كاراداكيس) وعدت معه إلى بلده الجميل اليونان.. وانقطعت علاقتي باسكتلندا..



أما عن مسار حياتي ؛ فأنت تعلم كم كنت  
أعشق الأدب..

وفي بلد كالليونان وجدت جذوري  
الحقيقية.. واتجهت إلى الكتابة وخاصة  
قصص الرعب التي لا أدري لماذا أبقى  
قلمي أن يخط سواها.. ولي في أسواق  
أوروبا كتاب أو اثنان متوسطة النجاح...

إن زوجي يعمل حاليًا في مجموعة من  
الجزر الصغيرة في بحر (إيجه) ما بين  
(كريت) و(رودس)، وعمله مثير إلى  
أقصى حد..، تصلنا الجرائد العالمية مرة  
كل شهر تقريبًا.. وفي الشهر الماضي كنت  
أتصفح إحدى الجرائد الأمريكية حين  
وجدت مقالة عن مغامرة مع الزومبي قام  
بها أمريكي وطبيب مصري.. وكانت

صورتك منشورة أعلى المقال، إنك تزداد  
قبًا عامًا بعد عام (!! ) إلا أن نظرتك  
المميزة وقامتك الناحلة لم تتغيرا أبدًا..

وكان المقال يحكي عن طبيب مصري  
اسمه ( رفعت إسماعيل ) ( يهوى ) مصاصي  
الدماء والمذعوبين وأكلة لحوم البشر..،  
هرعت وأرسلت خطابًا لـ ( ماجي ) في  
( انفرنشاير ) أسألها عما إذا كنت أنت هو  
هذا الذي تتحدث عنه المقالة أم أن حالة  
هلوسة قد أصابتني..، وعلمت من ردها  
أنك المعني بالفعل.. وأنك لم تتزوجها -  
رغم كل هذا الضجيج - وأنك أنقذتها من  
وحش ( لوخ نس ) نفسه..!.. وأعطتني  
عنوان جامعتك..

والآن.. أكتب لك يا (رفعت) - اسمح لي  
برفع الكلفة - كي أقول لك إن هناك أشياء  
غير عادية تحدث في هذه الجزر، وأنني  
وزوجي في أمس الحاجة للاستعانة  
بخبرات (استشاري رعب) مثلك..  
لن أحكى لك التفاصيل..، لكنني أوكد لك  
أن الأمر سيثير اهتمامك..، وأنت ستحب  
اليونان، وستحب (ميخائيل) زوجي،  
وستجد صداقتك القديمة مع شيطانة  
الجامعة الموهوبة (تابيثا ماكجفرت)..  
بانتظار ردك..، وستكون تذكرة سفرك  
على نفقتينا أنا وزوجي لأن هذا جزء  
بسيط من دين الصداقة، فقط قل لي متى  
وأين وكيف نقابلك... إنك لن تنسى ما  
حييت هذه الرحلة...

بإخلاص:

(تابيٲا كار اءا كلس)

أغلقء الخءاب وءرقء فف ءوامء  
ءءكرفاء.. (مافف) وأنا وأشفاء وءابفاء..  
والشباب المرح المفعم بالأمال.. ورسالة  
ءءءوراه الفف فشرف علفها السفر  
(فمس) واء (مافف) نفسه... و...  
لن أنسى هءه الرحلة أءاء.. هءا قالء..  
وهءا ءوقءت أنا، لم أمارس فف ءفاءف أفة  
ءءربة فمكن نساءها ءءى اللءظة..، وقبل  
كل سفرفاءف كنف أءء ءائماً من فعءنف  
بأنف لن أنسى.. وبالفعل لا أنسى... وإن  
ءشء الرحلاء الفف لا ءنسى فف مءزن  
ءاكرءف ءء ءزافء إلى ءء أنف لا أءء مكاناً

للنوم...، وعدني د. (رتشارد كامنجز)..  
و(جوستاف)، ود. (عاصم).. وسير  
(جيمس).. و(هاري شيلدون).. و(عادل)..  
إنني لن أنسى..، وبالفعل كانوا محقين!!..  
إلا أن موضوع الرحلة يثير شغفي،  
واليونان بلد عريق الحضارة مليء  
بالأفكار يستحق أن يضاف إلى قائمة  
البلدان التي لن أزورها مرة أخرى في  
حياتي...

المهم الآن أن أنهى أعمالي سريعًا.. وأن  
أبدأ إجراءات إجازتي بمجرد انتهاء موسم  
الامتحانات..

إن (كريت) لن تنتظرنني كثيرًا..





## ٤ - رعب جديد..

---

[ولكنني أعرف هذا التمثال.. هذا الوجه  
المذعور..]



أخذ الزورق يشق طريقه بين أمواج بحر  
(إيجه) وقد بدا للنوتي أن الحياة كلها  
صفحة من الماء يجب أن يشقها إلى  
نصفين..، إلا أن الماء كان يخدعه ويلتئم  
كلما تأكد من أن الزورق قد ابتعد.. وأن  
النوتي لم ير ما حدث!...

رائحة البحر وطيور النورس الأنيقة..  
وتململ الركاب يؤكد أننا وصلنا إلى  
جزيرة (كارادوس)...

لن أحكي لكم عن دوار البحر الذي  
أصابني حتى لا تشعروا بالملل من  
ضعفي.. أنا لا أفعل أي شيء يستطيع  
أبطال القصص أن يفعلوه.. وإنه لحظكم  
السيئ الذي أوقعكم مع بطل قصة مثلي  
مصاب بدوار البحر والربو والذبحه  
الصدرية والشيب...!

إنها جزيرة (تاييئا) حيث يعمل زوجها  
وحيث ضربت لي موعد اللقاء.





وصل الزورق إلى الشاطئ.. وشرع  
الركاب ينزلون وأنا بينهم.. لم يبد على  
واحد منهم أنه (مسافر) سواي، فهم - كما  
هو واضح - قد اعتادوا التنقل بين الجزر  
كأنهم يتنقلون في ضواحي مدينة واحدة..،  
بل كانت هناك امرأة أو اثنتان تحملان  
بعض الحاجيات التي اشترتها من  
(كريت).. كأنهما عائدتان من السوق..

نزلت على الأرض وقدماي ما تزالان  
تشعران بتأرجحها..، وعن كذب لمحت  
صديقتي القديمة (تابيثا) وزوجها  
(ميخائيل) يرتديان نفس الثياب تقريبًا..  
قميص بسيط وبنطلون من قماش خشن  
سميك وقبعة.. وكانا يلوحان لي في  
مرح..، اتجهت نحوهما حاملاً حقيبتني..

وكان زوج (تابيئا) شديد الوسامة فارح  
القامة كمثل الأدوار الفتى الأول.. أما هي  
فكانت بقبحها المعهود مع احتفاظها  
بروحها المرححة وسرعة بديهتها.. وركبنا  
سيارة (جيب) عتيقة تمخر بنا في شوارع  
القرية - أو الجزيرة لا أدري بالضبط -  
وسط نظرات الفضول..

الكل ينظر إلينا بلا استثناء..

الرجال بشواربهم الكثة على المقاهي..  
والأطفال الذين يلعبون حفاة في الطرقات..  
والحسناوات العائدات بجرار المياه من  
(الظلمة).. والعجائز المتسربلات بالسواد  
اللواتي يشبهن عجائزنا في مصر إلى حد  
مروع..

وتبدأ الهمسات والنظرات الجانبية.. إنه  
ليس جواً عدائياً..، فقط هو جو كل هذه  
البلدان المنغلقة على نفسها والتي يكون  
وصول وجه غريب إليها حدثاً جليلاً.. ربما  
يصير يوماً يؤرخون به الأحداث فيما  
بعد..!  
فيما عدا ذلك كان المكان رائعاً..  
وبهيجاً..



أشار (مikhail) إلى الكوخ وقال  
بانجليزية رديئة جداً وهو يشد فرملة اليد:  
- هذا.. بيتك.. وبيتنا..

نزلت من السيارة مبدئياً علامات الانبهار  
لأخفي خيبة الأمل تجاه هذه الكومة النخرة

من الأخشاب التي سأعيش فيها..  
ومعهما!..، على كل حال لم أنس أن هذين  
الزوجين موجدان في الجزيرة بصورة  
مؤقتة وليس من صواب الظن أن أعتقد  
أنهما يملكان فيها قصرًا..

أشرت إلى كوخ على بعد مائة متر حالته  
أكثر سوءًا.. وقد بدا كئيبيًا كالكابوس:  
- وهذا؟..

قالت (تابيئا) وقد تبادلت مع زوجها نظرة  
ذات معنى:

- هذا بيت الأستاذ (ستافروس  
دندرينوس).

ثم فتحا لي باب الكوخ الخاص بهما..،  
دلفت وأنا أشم في الجو رائحة لا تطاق..  
الخشب المغطى بالرطوبة والطحالب..

ونقص التهوية، لكنني سأعود.. المهم ألا يهربا هما أولاً فراراً من رائحة سجائري التي ستفحم هواء هذا الكوخ بعد دقائق..! وقادني (ميخائيل) إلى غرفة بها فراش صغير.. ومكتب.. وخزانة ثياب..، غرفة نظيفة في الواقع ومريحة.. لولا تلك الرائحة اللعينة، وأشار لي إلى وعاء للغسيل وقطعة صابون ومنشفة.. ثم تركني لأستعد للعشاء.. إلا أنه تذكر أن يعود برأسه ليطل من الباب.. ويضم أصابعه أمام فمه بحركة ذات معنى:

- تذكر.. لا.. لا..

كان يحاول البحث عن الكلمة.. وقد فهمت قصده لكنني تظاهرت بالحماسة لأغيطه:

- ساندوتش..؟.. أحمر شفاه؟..

- كلا.. كلا.. كلا..

- تدخين..؟

- نعم.. نعم.. لا تدخين.. ممنوع..!

قضي الأمر إذن..!.. سأظل أشم هذه  
الرائحة للأبد لكني - على الأقل - سأريح  
رئتي بعض الوقت طالما بقيت في هذا  
الكوخ..، استبدلت بتيابي ثيابًا مريحة  
أكثر.. وغسلت وجهي وشعري، ثم لحقت  
بهما في المطبخ الواقع في الجزء الخلفي  
من الكوخ..، وكانت رائحة الطعام شهية  
حقًا.. على المائدة كميات هائلة من  
الأسماك المشوية والخبز و- بالطبع -  
الزيتون..

وبدأ العشاء يسوده المرح..، قلت لـ  
(تابيثا) وانا أكافح الأشواك في إحدى  
الأسماك التي أجهل نوعها تمامًا:

- إن زواج كاتبة قصص بعالم آثار  
يذكرني..

تبادلت هي وزوجها نظرة باسمه ذات  
معنى.. وتساءلت في خبث:

- يذكرك بمن؟..

- بـ (أجاثا كريستي).. هي أيضا كاتبة  
قصص وزوجها عالم آثار، وتقول عنه...

إلا أنها لم تهتم بباقي كلامي.. إذ التفتت  
لزوجها، قائلة في انتصار:

- ألم أقل لك إنه تقليدي..؟! - ثم قالت لي

مفسرة - كنا قد تساءلنا أنا و(ميخائيل) عما

إذا كنت ستكرر ذلك التعليق السخيف الذي

يقوله كل من يعرف بأمر زواجنا معتقدًا  
أنه تعليق عبقرى!.. وكان هو يرى أنك  
تبدو ذكيًا مبتكرًا ولن تقول نفس  
السخافات، أما أنا فقلت إنني أعرفك  
جيدًا..!!

احمرت أذناي خجلًا..، يا لك من  
شيطانة!..، لقد جعلت مني أحمق حقيقياً  
أمام نفسي، على العموم سنحاول تجاهل  
هذه الدعابة الثقيلة ولن نتحدث عن أشياء  
أكثر مرحًا.. وما هي تلك الأشياء الأكثر  
مرحًا سوى الأشباح..!!؟..

بدأت (تابيثا) تسألني في اهتمام عن كل  
ما ذكرته لها (ماجى)..، وبدأت عليها  
الحيرة وخيبة الأمل حين أدركت أنني  
لست الخبير الذي كانت تظنه..، بل إن



علاقتي بالأساطير هي (الهدم) وليست  
(البناء)..، فهي - ككاتبة قصص رعب -  
كان يرضيها بالطبع أن تكون النداهة  
والمذعوب والزومبي حقائق..، إلا أنها  
بدأت تفهم حقيقة أنني (بطل بالصدفة) يقع  
دائمًا في شراك هذه المواقف دون فضل له  
في ذلك..

قال لي زوجها، مبتسمًا:

- على كل حال.. أنت لم تبتعد كثيرًا عن

قدرك حين جئت اليونان..!

- ماذا تعني..؟!..

- إن اليونان بلد شديد الغموض،

وأساطيره المرعبة لا نهاية لها..

ثم تفكر قليلًا باحثًا عن الكلمات

المناسبة.. وهمس:

- مثلاً أنت تظن أن (رومانيا) - وخاصة مولدافيا ووالاشيا - هي أصل أساطير مصاصي الدماء.. حسن.. هل تعرف أن مصاصي الدماء مألوفون جداً في القرى اليونانية خاصة لدى العجائز؟.. لا أعني بهذا أنهم موجودون حقاً..

قالت (تابيثا) وهي تتلذذ بملامح الذعر على وجهي:

- يسمونهم (الفرايكولاكاس)..، وحتى اليوم توجد قرى يونانية تحشو فم المتوفي خاصة إذا كان شاباً وميتته غير مبررة - بالثوم. وتضع قطعتي فضة على عينيه لمنع من التحول إلى مصاص دماء2...!!

أحسست بجلد ذراعي يتحول إلى جلد إوزة بسبب القشعريرة التي أصابتني من

الفكرة..، ما سر هذه الأسطورة؟.. ما سر تغلغلها في التراث الإنساني لكل الشعوب إلى هذا الحد؟!...، وتذكرت محاوره قديمه دارت بيني وبين د. (ريتشارد كامنجر) منذ.. منذ عشر سنوات!.. حين قال لي إنه لأبد من أصل واقعي لكل أسطورة.. ترى أين هو؟ وأين أسرته اليوم..؟..

- والرجل الذئب..

استطردت (تابيثا) وعيناها تلمعان في حماسة:

- هل تعلم أن أصل هذه الأسطورة هو

اليونان وليس رومانيا؟

- مستحيل..

- إن أصلها من (أركاديا)..، طبيب

يوناني هو (مارسليوس السايدي) وصف

هذا المرض وأسماءه (لايكا انثروبي)..، أي  
(حالة التصور الذئبي)..، وصف مرضًا  
يتحول فيه الإنسان إلى ذئب يأكل اللحم  
النيء ويعوي حين يرى القمر..، وقد  
وصلت هذه المقالة إلى الأطباء العرب عن  
طريق (إيطس الأميدي)..، وقد كتبه عن  
هذا المرض أطباء عظام مثل (ابن سينا)  
و(الزهرراوي)..، واسمونه بداء (القطرب)..  
وهي ترجمة غير موفقة لكلمة (لايكا  
انثروبي)3.

- أنا.. أنا.. لم أعرف هذا بتاتًا..

قلتها في حيرة.. وقد عاودني ذلك الشعور  
المريير القديم.. إنني أكتشف - كلما تقدمت  
في السن - أنني لا أعرف شيئًا على  
الإطلاق..

والآن يا (تابيٲا) ماذا تتوقعين أن أقدمه لك ولزوجك من مساعدة وأنت كما هو واضح تعرفين كل شيء عن أي شيء في العالم..؟



قال لي (مبخائيل) بعد أن انتهى العشاء:  
- هل أنت بحاجة للنوم..؟  
- بتاتاً.. إنني شديد الحماسة لرؤية هذه الجزيرة..

- لا يوجد الكثير في الواقع.. فمساحتها كما ترى، وسكانها لا يتجاوزون المئتين كلهم صيادون أو رعاة.. وقس.. وحفار قبور.. وصاحب مقهى..، إنها مملة حقاً..  
قلت له وأنا انظر إلى (تابيٲا):

- والآن.. حدثني عن الكابوس الجديد  
الذي ينتظرنا ها هنا والذي حاولت أن  
تتناساه بهذا الحديث المسلي عن مصاصي  
الدماء والمذؤوبين..!

بدت في عينيهِ الزرقاوين نظرة حيرة..  
عدم الفهم، والتفت لزوجته متسائلاً..  
فأطلقت من فمها فيضاً كطلقات المدفع  
الرشاش - من الكلمات اليونانية تترجم له  
عبارتي الملتفة التي لم يفهما.. أول  
مرة..، ولما فهم - أخيراً - قال لي:

- معذرة.. فإنجليزيّتي ليست على ما  
يرام، للأسف تعلمت (تاييئا) اليونانية  
كأهلها قبل أن أتعلم منها الإنجليزية، وهكذا  
لا أمل لي في التحسن..

ثم استدار لها وفتح مدفعه الرشاش عليها  
مطلقًا مئات الجمل باليونانية، فأتجهت إلى  
مصباح كهربى صغير ووضعتة فى يده..

- والآن تعال معى..

سرت معهما إلى حيث اتجهنا إلى باب  
الكوخ، وفتحاه.. كان الظلام قد بدأ يغمر  
الجزيرة وللمرة الأولى فهمت أنه لا يوجد  
ضوء كهربائى فيها.. البيوت المعدودة  
والأكواخ قد اتشحت بعباءة الظلام الكئيبه،  
وعلى الشاطئ تنتشر مجموعة من  
المرتفعات بها كهوف لا حصر لها..،  
امشي خلفهما فوق الأحجار متجهين إلى  
ذلك الكوخ الكئيب الذى آثار فضولى  
لحظة أن وصلت..

أضاءت له (تابيئا) المصباح على حين  
شرع يفتش مجموعة من المفاتيح أخرجها  
من جيبه.. وهمس لها بشيء ما.. ثم مد يده  
يعالج القفل الصدى المثبت على الباب  
حتى فتحه، ودعاني للدخول..

وطواط أو اثنان يتحركان على السقف  
الخشبي للكوخ وقد أزعجهما الصوت.. لقد  
حان ميعاد الاستيقاظ أيها الزميلان فالظلام  
سيحل تمامًا بعد دقائق.. رائحة العطن  
المميزة.. وثمة جو مشئوم يخيم على  
المكان..، بصوت هامس قال (ميخائيل)  
وعيناه متسعتان:

- هذا هو كوخ الأستاذ (ستافروس)  
دندرينوس)... سمعت هذا من قبل..



- إنه المشرف على الحفريات في هذه الجزيرة.. ورئيسي...  
- وهو لا يخاف الوطاويط أيضًا كما هو واضح...  
- كلا إنه...

قالت (تابيثا) مقاطعة إياه في فتور:  
- دعك منه يا (ميخائيل).. إنه يمزح لا أكثر..

لم يعلق (ميخائيل).. وتقدمنا نحو قاعة فسيحة نوعًا تبدو وكأنها كانت الصالة في هذا الكوخ.. وكانت قطع الأثاث المعدودة البسيطة مغطاة بقطع من القماش المكسو بالأتربة وخيوط العنكبوت..

وفي ركن القاعة كان هناك تمثالان مغطيان بالملاءات.. وأدوات حفر..

ومجموعة من الكتب محزومة بالحبال..





لم يعلق (ميخائيل) .. وتقدمنا نحو قاعة فسيحة نوعًا تبدو  
وكأنها كانت الصالة في هذا الكوخ ..

انحنى (تاييئا) على الأرض والتقطت شيئاً ما.. ودسته في يدي وهي تبتسم في رقة.. تأملت هذا الشيء فوجدته تمثالاً لفأر صغير يتلوى.. تمثالاً متقناً إلى حد غير عادي ومصنوعاً من الحجر الجيري، وكانت إحدى قدميه الخلفيتين مكسورة:

- ما رأيك..؟!.. ظريف أليس كذلك؟

قلت لها في حيرة..

- بلى.. ولكنه موضوع غريب للنحت..

لا أذكر أنني رأيت تماثيل فئران كثيرة في حياتي..

- لكنه متقن..

- لا أنكر هذا.. هل هو أثر إغريقي؟

ابتسمت في خبث.. وعلى ضوء المصباح  
الخافت أزاحت الملاءتين المغطيتين  
للتمثالين وشرعت ترمق تعبيرات وجهي..  
كان التمثال الأول يمثل رجلاً في  
منتصف العمر يرتدي قلنسوة وله شارب  
كث، وكان راكعاً على الأرض على ركبة  
واحدة يرمق في ذهول واضح شيئاً ما  
على الأرض..، تمثال بالحجم الطبيعي  
ومتقن إلى حد أنني كدت أرى - في الحجر  
- مسام جلده وشعيرات ذقنه غير الحليق.

التمثال الثاني كان يمثل عجوزاً يرتدي  
ثياب النوم.. وقد جثا هو الآخر على  
ركبتيه.. وحنى رأسه ليرمق في ذهول  
شيئاً ما على الأرض.. وكانت يده اليمنى

مرفوعة قليلاً كأنها تزيح الستار عن شيء  
ما...

تمثالان رائعان.. مريعان، ولقد بديا في  
ضوء المصباح المتراقص حولهما كأنما  
يتحركان.. وفي أعماقي تحرك ذلك  
الخوف الغامض غير المبرر الذي يحس  
به الناس تجاه التماثيل..، ذلك الخوف  
الغريزي الذي ينتابه كل طفل رضيع  
تقريب، منه دمية..، إنها النظرة الثابتة  
الموحية بالموت والموحية بالحياة في نفس  
الوقت.. هي بيت القصيد..

لكن ثمة حقيقة مؤكدة..

إن هذه الملامح والثياب عصرية تمامًا..  
ولا تمت للفن الإغريقي بصلة..



ابتلعت رريقي.. وقلت لـ (ميخائيل) هامسًا  
دون أن أعرف لماذا أهمس:  
- تماثيل متقنة.. لكنها ليست إغريقية  
أبدًا..

ابتسم في مرارة:  
- أصبت.. هي ليست تماثيل إغريقية..  
قالت (تابيثا) وهي تعيد تمثال الفأر إلى  
مكانه:

- بل الأحرى أن تقول إنها إغريقية..  
لكنها ليست تماثيل!!  
لم أفهم فحوى هذه العبارة الغريبة.. لذا  
واصلت ملاحظاتي:



- لقد اختار ذلك النحات أوضاعًا عجيبة  
لتماثيله.. فأرًا يتلوى المآ.. وراعياً يونانياً  
يجد شيئاً مفرعاً على الأرض.. وعجوزاً  
يبدو وكأنه كان يبحث عن الخف تحت  
الفراش حين وجد الشيطان نفسه..  
- لقد قتلها..، وجد الشيطان تحت  
فراشه..!

- لا أفهم...

كان التمثالان يرسلان ظلالهما الغامضة  
الرهيبية على جدران الكوخ.. وكانت عينا  
(ميخائيل كاراداكيس) الزرقاوان تلتمعان  
بالرعب.. و(تابيثا) تبلل شفثيها بطرف  
لسانها في توتر.. حين بدأت أتذكر  
أسطورة قديمة رهيبية سمعتها أو قرأتها  
يوماً ما.. هذان إذن ليسا تماثيلين..

وانتصبت الشعيرات في مؤخرة عنقي..  
لقد فهمت..

- هل.. هل تعني.. أنهما رأيا..

- نعم..

- رأيا رأس..؟

- نعم.. رأيا رأس (ميدوسا)!!



## ه - أين هو؟

---

كنا واقفين خارج الكوخ المشئوم في  
ظلام الليل نلهث من الانفعال..

وكان الزوجان يتكلمان ويتعاملان كأنهما يعيشان هذا الموقف للمرة الأولى.. فقد استعدا الفزع الأول المبكر كاملاً..، أما أنا فكانت مئات الأسئلة تصطرع في ذهني وكل منها يحاول السبق إلى طرف لساني، إلا أن تراحمها جعلها تذوب حتى لم أعد أذكر شيئاً منها...

إن معرفتي بـ (ميدوسا) سطحية جداً لا تتجاوز معرفة أي طبيب بها.. علامة (رأس ميدوسا) التي تميز تليف الكبد وارتفاع ضغط الوريد البوابي ؛ حيث تتسع الأوردة البديلة المحيطة بصرة المريض معطية ذلك المنظر الشبيه برأس (ميدوسا) والثعابين تخرج منه..، وهو تشبيه (شاعري) آخر من تلك التشبيهات

التي تملأ كتب الطب واصططكها الأطباء  
الأوائل.. مثل علامة زهور السوسن..  
وعلامة شجرة الشربين المقلوبة وعلامة  
عاصفة الثلج.. الخ...

بدأ (كاراداكيس) يحكي لي اسطورة  
(ميدوسا) الكابوسية بالتفصيل..، وقال لي  
إنه لو أن (ميدوسا) وجدت حقًا فإن  
موطنها - حتمًا - كان في إحدى هذه  
الجزر الصغيرة الواقعة ما بين (كريت)  
و(رودس)...

ثم إنه شرع يحكى لي ما حدث في تلك  
الليلة الرهيبة.. ليلة الخامس عشر من  
أبريل عام ١٩٦٦...

- كان أستاذي (ستافروس دندرينوس)  
يوصل الحفر في بعض المقابر الموجودة

في الكهوف المتاخمة الشاطئ.. حين...  
منعًا للملل لن أعيد كتابة هذه القصة  
ثانية.. فأنتم قرأتموها في الفصل الثاني..  
لكن اسمحوا لي أنا أن أستمع إليها حيث  
إنها المرة الأولى لي كما تعلمون!..، والآن  
نأتي للجزء الجديد من القصة..  
- في العاشرة مساء سمعنا صرخة..،  
صرخة رهيبة لم نسمع مثلها من قبل...  
وما أن خرجت من كوشي مع (تابيثا) حتى  
فهمت أنها صادرة من كوخ الأستاذ..  
جرينا لهناك.. وكان بعض العمال قد  
سبقونا لدخول الكوخ عن طريق كسر  
الباب.. وفي غرفة نومه وجدنا المشهد  
العجيب..

فأران من الحجر أحدهما متهشم تمامًا  
(كأنه سقط من الجدار) على الأرض..،  
وجوار الفراش - منحنيًا وراكعًا كأنه يعاين  
شيئًا ما - كان تمثال الأستاذ الذي رأته  
انت..، وكان هناك كيس من الخيش  
بجواره على الأرض ليس به أي شيء!!..  
لقد تذكر العمال الأسطورة على الفور  
قبل أن أتذكرها أنا..، أما أنا فقد فتشت  
الكوخ أولًا بحثًا عن الأستاذ (الحقيقي)..  
فلم أجده.. ثم هرعت إلى دفتر مذكراته..  
وكان مفتوحًا على آخر صفحة كان يكتبها  
لحظة أن حدث ما حدث..

كان يتحدث عن رأس (ميدوسا).. وعن  
كارثة أصابت رئيس عماله (نيكوس)..  
وعلى الفور أصدرت أوامري بأن يستدعي

بعضهم (ديمتريوس) رئيس شرطة الجزيرة - والشرطي الوحيد بها كذلك - وحمّلنا المشاعل أنا وآخرون إلى المقبرة المشنومة حيث وجدنا التمثال الآخر راكعًا على ركبة واحدة كما رأيته أنت.. واضح أنه كان يحفر حين خرج له الرأس من بين الصخور والأتربة..

والآن.. إن خيوط القصة تتضح أكثر.. لقد وجد الأستاذ (ستافروس) ذلك الرأس وأخذه معه للكوخ..، إلا أن الفئران أسقطت الشيء من كيسه تحت الفراش.. وحين نهض ليعيده نسي واجب الحذر وأصابته اللعنة.. لكن.. أين ذهب الرأس بعد هذا؟!..



قلت لـ (ميخائيل) في حيرة:  
- ولكن لو افترضنا أن (ميدوسا) وجدت  
فعلاً.. فكيف لم تتحلل بعد هذه القرون..؟  
قال وهو يفتح باب كوخنا:  
- لقد فكرنا في هذا..، إن هناك شيئاً ما  
في جو هذه الجزيرة أو تربتها يحول  
الجثث إلى موميאות..، وليست هذه أول  
مرة نجد فيها جثة شبه سليمة برغم أنها  
تعود لما قبل عهد الميلاد.. لقد أعتدنا هذا  
هنا..

قالت (تابيثا) في ضجر:  
- ثم إن القصة كلها غريبة ولا تخضع  
للمنطق..



دلفنا إلى الكوخ الذي بدا لي بهيجًا جدًا  
ودافئًا بعد ما رأيناه في الكوخ الآخر..،  
وجلسنا حول مائدة الطعام نرمق لهيب  
المصباح المتراقص وكل منا شارد الذهن  
يفكر في جانب من هذه القصة..

ابتسم (ميخائيل) في رقة.. وقال:

- يؤسفني أننا أقحمناك في هذه القصة  
على الفور.. لم يكد ينقضي اليوم حتى  
عرفت ما نعرفه نحن!..

- البوليس..

- ماذا..؟

- البوليس.. ماذا كان تعليقه على كل

هذا..؟

نظر إلى أنامله مفكرًا.. ثم حدق في

عيني:

- الواقع أن كلمة (بوليس) هي أكبر مما يجب..، فلا يوجد بهذه الجزيرة سوى (ديمتريوس بابادوبولوس) العجوز بربوه وشرود ذهنه وبنديقته العتيقة، وهو لم يحاول أن يبلغ الأمر لرؤسائه حتى لا يتهموه بالخرف.. بل ترك لنا المسؤولية كاملة، ولهذا معنا مفاتيح الكوخ..  
والتمثالان متروكان (لعهدتنا) إذا صح هذا التعبير..

- وهل سمعتم صرخة العامل..؟!.. لم أعد اذكر اسمه..

- (نيكوس).. الواقع أن أحدًا لم يسمعها - إن كان قد صرخ - سوى الأستاذ (دندرينوس).. كنت أنا و(تابيثا) في

المقهى.. وكان العمال قد عادوا لديارهم  
منهكين..

ثم تبادل نظرة مع زوجته.. وقال لها شيئاً  
ما باليونانية..، ثم نظر لي بعينيه  
الزرقاوين الحساستين (فيما بعد أدركت أن  
عينيه هاتين شديدتا الحساسية.. وأن  
انعكاس رعبه فيهما كان يكفي لإصابة من  
ينظر إليهما بالذعر هو نفسه)..

- والآن أعتقد أنك ستسألني عن  
المشكلة..

- هذا أكيد...

- لقد وجد الأستاذ (ديمتريوس) رأس  
(ميدوسا) ودفع ثمن اكتشافه غالياً.. ليس  
هو فقط بل و(نيكوس) وفاران لم يستطيعا

كبح شراھتهما... والآن كان ينبغي أن نجد  
الرأس تحت الفراش.. لكننا لم نجدہ...  
إن لهذا معنى واحداً.. هناك من دخل  
الكوخ في الدقائق التي تلت الصرخة...  
وكان سريع البديهة بحيث فهم على الفور  
ما هناك وكيف يحصل على الشيء  
ويخفيه قبل أن يأتي الآخرون..  
هناك شخص ما في هذه الجزيرة يملك  
رأس (ميدوسا)..، وبالطبع هو ليس عاشقاً  
للآثار اليونانية ولا من هواة الثعابين وليس  
عضواً في جمعية أصدقاء (برسيوس)..  
أنه شخص يعرف خطورة هذا الشيء..  
ويعرف كيف يستفيد منه..



الليل.. والظلام.. والأحلام العجيبة..  
من أعماق إمبراطورية الظلام (هيدز)  
حيث يجلس (بلوتو) على عرشه يرمق  
الأرواح المعذبة.. و(شارون) مبعوث  
الجحيم يركب زورقه عبر مياه نهر  
(ستيكس) حاملاً دفعة أخرى من الموتى...  
(برسفونيه) 4 الحسناء تركض نحوي..،  
تتوسل إلي أن أنقذها..، ولكن كيف؟!..  
كيف أواجه أنا وحدي سلطان (بلوتو)  
الرهيب؟! الكلب يذوب.. وتشرق الشمس..  
لكني وحدي يا (برسفونيه).. لقد أخذك  
لنفسه.. إن معي سيوفاً كثيرة وبنادقية  
(ليزر) لا أدري كيف جاءت في جعبتي..  
ولكنها صالحة.. أنا أحب الزيتون،  
والأسماك الشهية التي لا أعرف اسمها..

و(تابيئا) سخريتها قاسية..، كانت تداعب  
(ماجي) فلا تستطيع الرد وتحتشد الدموع  
في مقلتيها.. أما أنت يا (برسفونيه).. كلا..  
هذا ليس أنت..!..، لا..!، ما هذه الثعابين  
في شعرك ولسانك المشقوق..؟ أنت لست  
(برسفونيه)..!.. أنت الجرجونة  
(ميدوسا).. وأنا لم أعد (رفعت).. أنا تمثال  
حجري يصرخ...

وتقلبت في الفراش غارقًا في العرق..  
وابتلعت ريقى... أنا أعرف أن هذا  
كابوس.. وأن سببه هو أحداث اليوم  
وإفراطي في العشاء ونومي على ظهري..  
لكني لا أستطيع التقلب.. أنا مجرد تمثال  
حجري.. لو تقلبت لانتهى كل هذا..

والآن يجتمع الرئيس الأمريكي (جون كيندي) مع (تيتو) و(زيوس) و(أورفيوس) لمناقشة هذا السؤال الخطير: ما نوع الأسماك التي أكلناها في العشاء..؟ لم يحضر (خروشوف) بسبب الحرب الباردة.. إلا أن (برسفونيه) ستكون زوجتي.. وستنظف الغبار من على تمثالي كل يوم..، الآن أطمئن. و...  
ثم لا شيء..



في الصباح شعرت وكأن قافلة من العربات الحربية بقيادة (رمسيس الثاني) قد مرت فوق جسدي.. وكان رأسي يترنح، إلا أن ضوء الشمس البهيج أزال أشباح

الليلة الماضية حتى أن ما قاله لي  
(مikhail) وما رأيته بدا لي مجرد كابوس  
آخر من كوابيس الليل.

وجلست على مائدة الإفطار مع الزوجين  
ألتهم الزيتون والجبن وأرشف اللبن  
الطازج شاعرًا أن اليوم سيكون حافلًا..  
- هل نمت جيدًا..!؟

سألتني (تايثا) في خبث، على أنني  
لمحت تحت عينيها انتفاخات تشي بأن  
ليلتها لم تكن أفضل..

طيلة الليل كان ثمة مؤتمر عجيب في  
رأسي بين (جون كيندي) و(تيتو)  
و(زيوس) لمعرفة نوع السمك الذي أكلناه  
أمس.. والاتفاق على مهر (برسفونيه)  
زوجتي القادمة!



قالت (تابيثا) وهي تصب لي المزيد من اللبن:

- أنت أفضل حالًا مني..، على الأقل كانت كوابيسك ذات موضوع.. أما أنا فقضيت ليلتي في خلط لا رأس له ولا ذيل.. اشرب...

قلت ل (ميخائيل) وأنا أرشف اللبن تاركًا شاربًا أبيض على شفتي العليا:

- ثمة سؤال واحد يا (ميخائيل) بخصوص موضوعنا..، إذا كان هناك من وجد الرأس قبلنا.. فكيف دخل الكوخ - وأنت تقول إن الرجال اضطروا لكسر الباب - وكيف خرج منه؟!..

- إن هناك نافذة كبيرة منخفضة في غرفة نوم الأستاذ وكانت مفتوحة بسبب الحر

الشديد..، ربما دخل وخرج منها ذلك  
الشخص... وعلى كل حال كانت هناك  
آثار أقدام شديدة الوضوح جوار النافذة..  
قالت (تابيثا):

- ثمة جواب آخر.. هو أن أول من وصل  
للمشهد من الرجال كان وحده لثوان، لكنها  
كانت كافية أن يطوح الرأس من النافذة  
ويتظاهر بالذهول بعدها..، فيما بعد يعود  
ليسترد الرأس..

هذا صعب.. لا أصدق أن سرعة البديهة  
والانعكاس الشرطي يصلان لدى شخص  
ما إلى هذا الحد.. يدخل قبل الآخرين..  
ويرى المشهد.. ويفهم.. ويأخذ حذره..  
ويقرر.. فيخفي الرأس..، هذا ليس بشرياً..  
و على كل حال لا يوجد حل ثالث..

قال (ميخائيل) وقد عادت، عيناه  
الزرقاوان تبثان الهلع في روعي:  
- ثمه حل رابع..

- وما هو...؟..

- أن تكون لهذه الرأس قدرة على  
التنقل...!..، أن تكون هي نفسها كيانًا حيًا  
مستقلًا.. وهي الآن حرة في هذه  
الجزيرة!!



## ٦ - رعب في الجزيرة..

---

عوى الكلب مرتين مصدرًا تلك الزمجرة  
المنذرة بالويل.. ثم انقض على دون سابق  
إنذار بمجرد أن أفلت من قبضة (تاييئا)  
على المقود.. شرعت أتظاهر بالرزانة  
والوقار مانعًا نفسي من البكاء كالأطفال أو  
الفرار كالأرانب، لأنني أعرف أن هذا  
سيزيد الأمور سوءًا.. شرع يتشمم  
بنطلوني وجيوب سترتي.. ثم بدأ يدرك  
أنني لست بالخطر الداهم على صاحبيه..،  
وبدأ تدريجيًا يتناسى وجودي كلية..  
- (كوستاس)!.. تعال هنا!..!

صاحت به (تابيثا) بلهجة صارمة..  
فتركني - أخيرًا - وعاد لها في تودة..  
غريب أمر هذا الكلب الذي يجيد  
الإنجليزية..، إلا أنني كتمت - بصعوبة -  
ما يعتمل في رأسي من خواطر حول  
المتعة التي يحصل عليها المرء من تربية  
هذا البير...

- ماذا بك يا (رفعت)؟!.. كنت أحسبك  
رفيقًا بالحيوانات الضعيفة...

- نعم.. الحيوانات الضعيفة.. الحيوانات  
التي قد تموت جوعًا لو لم نرفق بها.. أما  
هذا الوحش فلن يجوع أبدًا.. إنه سيفترس  
أول إنسان يكون أمامه عند شعوره بأولي  
علامات الجوع...!.. لا مشكلة إذن..

قالت في دلال ممزوج بالعتاب وهي  
تدعك اذني (البير):

- لا تقل هذا عن عزيزي (كوستاس)..

إنه رابطتي الوحيدة (باسكتلندا)..  
وأضافت مبتسمة:

- كان اسمه (ماكسل).. وكان الكلب

الأثير عند أبي..

- لهذا يفهم الإنجليزية إذن..!

وتأملت الكلب قليلاً.. ثم سألتها:

- لم أره أمس...

- لم نرد أن نضايقك.. لذا حبسناه في

بيته..





ثم انقض على دون سابق إنذار بمجرد أن أفلت من قبضة  
(تايثا) على المقود ..



هنا خطرت لي فكرة..، لو أن هذا  
الوحش يجيد ربع ما تجيده الكلاب التي في  
حجمه وتحترم نفسها.. فهو قادر إذن على  
تقفي الأثر بالشم..، لو أنه شم الكيس  
الخيشي الذي كانت به رأس (ميدوسا) فهو  
قادر على مسح الجزيرة كلها والعثور  
عليه..

إنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها للعثور  
على رأس مختلف..

قلت لها فكرتي.. كنا واقفين على الشاطئ  
نرمق أمواج بحر (إيجه) المتسابقة لترتمي  
عند أقدامنا الحافية... تفكرت حيناً.. ثم  
بدت عليها علامات السرور.. إنها فكرة لا

بأس بها حقًا.. ولئن كان ذلك الشيء  
مختفيًا في كهف.. أو في بيت.. أو في  
باطن الأرض فهي تعرف أن (كوستاس)  
العزير سيجده... ولكن كيف لم تخطر لك  
هذه الفكرة البديهية من قبل يا (تابيثا)؟..  
- لأننا أغبياء يا عزيزي (رفعت)..  
ولأنك عبقرى..

قالتها في سخرية واضحة... لو أن أية  
امرأة أخرى في العالم قالت لي هذه العبارة  
لامتلأت زهواً.. لكني تعلمت مع (تابيثا)  
أن أكون حذرًا..

وعلى مرمى البصر كانت سفن الصيد  
العتيقة متراسة فوق رمال الشاطئ لتجف،  
ومجموعة من الأطفال يلعبون..، وصيد  
عجوز يدخن (النارجيلة) التركية

الشهيرة..، وبعض الشبان يعزفون على آلة  
وترية ما، لا أعرفها.. سألتها:

- هل هذه هي (البوزوكي)؟

- كلا.. هذه هي (السانتوري).. ألم تقرا

تحفة (نيكوس كازنتزاكيس) (زوربا

اليوناني)!!..

- في الواقع.. نعم.. لم أقرأها..

قالت وعيناها تضيقان انبهارًا:

- إنها آلة رائعة.. وترغمك إذا ما حاولت

التعبير عن نغماتها أن ترقص رقصًا

يونانيًا موقعا..، إن كل آلة موسيقية عند

كل شعب ترغمك على أن ترقص كأهلها..

الطبول تجعلك ترقص كالأفارقة.. الناي

والطبل يجعلانك ترقص رقصًا مصريًا..

الجيتار يجعلك ترقص كالإسبان.. لا حيلة

لك في ذلك لأن تكوين الآلة يسيطر على  
جهازك الحركي ويطبعه بطابعها..  
كنت أتأمل في عبارتها حين وصل  
(ميخائيل) حاملاً سلة من القش اشتراها  
من بعض الصيادين وكانت مليئة  
بالأسماك.. ألقى بسمكة للوحش المدلل  
التهمها وهي في الهواء بعد.. وفي فتور  
سألنا:

- تتحدثان عن (ميدوسا)..؟

- كلا.. بل عن الآلات الوترية في

الحضارة الإغريقية..!

قال كلمة يونانية ما، واضح أنها تعادل  
كلمة (إحنا في إيه ولا إيه؟) في العربية،  
ثم جلس على الرمال.. وشرع يدندن لحناً  
حزيناً.. بدأت (تابيثا) تفتح مدفعها

الرشاش عليه مطلقه سيلاً من العبارات  
اليونانية يتخللها اسمي واسم كلبها العزيز -  
ولا فخر - مما أكد لي أنها تخبره بفكرتي..  
نظر لي في فهم.. وابتسم مؤيداً..، ثم  
اقترح أن ننفذها هذا المساء حين يتكفل  
الظلام بإِراحتنا من الأسئلة..



وهكذا شرعنا ننفذ خطتنا الصغيرة.. عدنا  
إلى الكوخ وجعلنا الكلب يتشمم كيس  
الخبث الذي وجدوه جوار تمثال الأستاذ..،  
ثم أمسك (ميخائيل) بالمقود وشرع يحث  
السير خلف الكلب المتحمس.. كان المساء  
قد بدأ يدنو مرة أخرى..

خرجنا من الكوخ وبدأنا السير عبر رمال الشاطئ وسط النظرات الفضولية التي تقول بصراحة: ماذا دها هؤلاء المجانين؟!..، وبدأ الكلب يتحفز.. ثم دار حول مجموعة الكهوف المتاخمة للشاطئ.. واختار أحدها ودخل..

قربت (تاييئا) الكيس من أنفه بيد ترتجف لتتأكد من أن ذاكرته لم تضعف.. إلا أنه واصل السير بثقة إلى ما يشبه الفتحة في جدار الكهف.. ودخل.. ونحن خلفه.. لكن الظلام كان دامسًا بالداخل..

أشعلت قداحتي فأزالت العتمة قليلاً.. وعلى ضوئها المتراقص رأينا الكلب يحفر في رقعة ما من الأرض وهو يزوم بتلك الطريقة المفزعة.. وكانت أذناه

متصلبتين.. وشعر عنقه منتصبًا.. وذيله  
منتفشًا.. لقد أحس بها...!

قرب (ميخائيل) يده يحاول جذب المقود  
إلا أن الكلب كشر عن أنيابه وأصدر  
زمجرة منذرة فأبعد هذا يده فورًا..،  
همست (تايثا) في رهبة:

- لا تحاول يا (ميخائيل)...!.. سيعضك..  
إنه ليس في حالة طبيعية..!

رهيب هو هذا المشهد.. والنظرة الزائغة  
المبهرة في عين الكلب.. و... وهنا تداعى  
لخاطري سؤال:

- هل هذا هو الكهف حيث.. حيث وقع  
الحادث؟

- نعم هو.. ألم تفهم بعد؟!!

- لكن هذا يعني أنه يشم أثر الرأس في الأرض.. وليس الرأس نفسه..

- لا أعتقد.. لا بد أن الرائحة قد زالت الآن.. ولن تكون أقوى من الرائحة العالقة بالكيس نفسه..

- وهذا يعني..

قال (ميخائيل) وهو يطفئ لهيب القداحة بأنفاسه:

- يعني أن بقية (الشيء) موجودة هنا.. أو أن هناك رأسًا آخر تحت الأحجار.. أو أن هذه المقبرة خاصة بشقيقتي (ميدوسا).. لا أدري حقًا لكن الشيء المؤكد هو أن الوقت قد حان كي نغلق عيوننا..!





وهكذا تركنا الكلب حيث هو وهرعنا  
متخبطين إلى كوخنا نبغي حماية لعيوننا..،  
أتى (ميخائيل) بعصابتين للأعين من التي  
يضعها ذوو العيون الحساسة للضوء عند  
النوم ؛ أما أنا فوجدت قطعتين من القطن  
صالحتين لأن أدسهما بين جفوني وزجاج  
النظارة.. ثم انطلقنا كالقذائف نبغي  
الوصول للكهف قبل أن نسمع..

العواء...!!... العواء المريع المتحشرج الذي  
كنا نخشى أن نسمعه..، جرينا للكهف  
وصوت (تاييئا) تنهته بالبكاء وهي تجري  
جوارى وتردد مرارًا لا حصر لها:

- ما كان يجب أن... ما كان يجب أن...  
وهنا - أمام الكهف - وجدنا حشدًا من  
السكان يقفون واجمين.. لم يجرؤ أحدهم

على الدخول في وكر الشيطان هذا..،  
شققنا طريقنا.. وارتدى الزوجان القناعين،  
أما أنا فحشرت، قطعتي القطن خلف  
الزجاج حتى لم أعد أرى أي شيء.. لربما  
كان إغماض عيوننا كافيًا لكن هذا لا  
يضمن لحظة شرود ذهن أو انعكاس لا  
إرادي يرغبنا على فتحها..

وهنا بدأ سباق العميان...

وسط صخور الكهف نرحف ونحبو نحو  
المكان الذي سجلته ذاكرتنا..، وسمعت  
صوت (تاييئا) الملتاع يصرخ:

- إنه هنا!.. لقد وجدته!..!

مددت يدي تجاه صوتها فاصطدمت  
بشيء أملس وبارد.. حجر..، تحسسته في

رزانة.. الفم والأنياب والقدمين.. إنه تمثال  
كلب!.. لا شك في ذلك..

- يا عزيزي (كوستاس).. أنا السبب..  
أنا.. شرعت تنشج في الظلام.. أكاد أراها  
وهي تحتضن التمثال المرعب محيطة  
عنقه بذراعيها ومسندة رأسها على كتفه..،  
لم يعد منها نفع بعد الآن.. أما (ميخائيل)  
فلم يكن عنده وقت لهذا السخف.. إذ  
سمعت صوته في الظلام يهمس:

- ها هو ذا الرأس يا (رفعت).. لقد  
وجدته..!.. مد يدك نحوي...

مددت يدي فاصطدمت بفتحة.. فتحة  
أنف.. تحتها شارب.. و...

- ليس هنا أيها الأحمق!.. هذا أنفي!..،  
أنزل يدك قليلاً.. لأسفل.. هكذا.. والآن ها

هو ذا...!.. هل تحس به؟!..  
في الظلام أشعر به.. مستجمعا كل حاسة  
(التقدير الفراغي) عندي أتحسسه.. الأنف  
المجدوع.. الفم ذا الأنياب الحادة.. ثم..  
عشرات الأشياء الطويلة الملتفة حول  
الرأس ولا يمكن أن تكون سوى ثعابين..  
إنه هو..



فتحت له الكيس فرفع الشيء وألقاه فيه  
وأحكما ربطه.. كانت رائحة الشيء قوية  
وأعتقد أن كل عطور العالم لم تكن قادرة  
على إزالتها من أيدينا..  
والآن يمكننا أن نخرج.. لم تنزل  
العصابات من على أعيننا فمن أدرانا أننا

لن نجد أمامنا رأسًا آخر خارجًا من  
التربة..؟..، حملت الكيس في يدي..  
وسمعت صوت ضجة فهتت منها أنهما  
يتعاونان على إخراج تمثال الكلب من  
المقبرة..

والآن نشم هواء المساء المالح فنزيل  
عصابتنا..

أهالي الجزيرة يحيطون بنا يرمقوننا في  
وجوم..، وعيونهم متصلبة على الكيس  
الذي أحمله وعلى تمثال الكلب الثقيل الذي  
تعاون الزوجان على حمله.. تمثال لكلب  
يحفر في الأرض ويصرخ..، هذا الصمت  
الثقيل ينذر بشيء ما..

بدأنا نشق طريقنا بين صفوفهم..، وفجأة  
برزت لنا امرأة عملاقة ترتدي السواد

وشرعت تطلق علينا سيلاً من الكلمات  
اليونانية التي لا تمت للمجاملات بصلة  
حتمًا..، قالت لي (تابيثا) وهي تنشق لمنع  
دموعها من أن تسيل من فتحتي أنفها:  
- إنها (ميليسا).. زوجة (نيكوس)..  
- نعم.. نعم أرملة ذلك العامل.. هذا  
واضح..

- إنها تقول إن الشؤم حل بالجزيرة منذ  
قدوم الشياطين.. شيطان المدينة والمرأة  
الأجنبية التي ترتدي البنطلون.. و... هناك  
بعض الشتائم طبعًا لكني لن أترجمها،  
وتقول إن الشيطان الأصلع ذا النظارة قد  
جلب المزيد من الشؤم..!  
- لا بد أنها تتحدث عني....

كانت المرأة صارمة الوجه.. وكان العرق واللعاب يتناثران من فمها وهي تشير للكيس ثم للرجال..، وتقول كلامًا كثيرًا..

- إنها تقول إن (الشيء) سيجلب الشؤم علينا وعلى أولادنا.. وأن الرجال لو كانوا رجالًا حقًا لرموه في البحر للأسماك ورمونا نحن أيضًا..

وتواصل المرأة الصراخ في حين جفت دموع (تابيثا) تمامًا والتمعت نظرة التحدي في عينيها.. وواصلت الترجمة:

- إنها تقول: فليمزق ألف مخلب أحشاء من بذر البذرة التي منها نبتت الشجرة التي صنع كوخنا من خشبها..!

شاعرية جدًا هذه اللغة اليونانية.. ذكروني  
أن أتعلمها فيما بعد حين تتحسن الظروف..  
أما الآن فالموقف لا يثير الطمأنينة أبدًا..  
وهنا ثارت (تابيثا) وصاحت في المرأة  
مطلقة بعض القذائف اليونانية شديدة  
الانفجار.. ردت المرأة بقنبلتين  
هيدروجينيتين.. وكانت (تابيثا) على وشك  
استعمال قنابل (النيوترون) حين اشتبكت  
معها المرأة بالضرب واللطم والصفعات  
والعض.. هل شاهدت في حياتك صراع  
قطين؟.. هل تستطيع - لو جرؤت - أن  
تفصلهما؟!.. هذا هو ما حدث وقتها...  
(ميخائيل) و(أنا) من ناحية والرجال -  
الذين كانوا متعلقين غير مباليين للعنف -



من ناحية أخرى.. الكل يحاول إنهاء  
صراع الديناصورين هذا..  
وقبل أن أفهم ما حدث اندفعت قبضة  
المرأة تلكني في أنفي، وانتزعت الكيس  
الخيشي من يدي.. وهي تسبني بما لا  
أفهمه...

لكن الكيس كان مهترئاً.. مهترئاً إلى  
درجة أنه لم يتحمل هذا الجذب!!



**٧ - الشيء...**

---

[ترى هل تألموا؟.. إذا لم يكونوا قد تألموا  
فلماذا صرخوا؟!..]



[إنها إغريقية حقًا.. لكنها ليست تماثيل!]



تمزق الكيس.. ولمحت بطرف عيني شيئًا  
رماديًا بشعًا يبرز منه حيث سقط على  
الرمال..

وكان رد فعل (ميخائيل) هو الأسرع إذ  
صاح باليونانية منذرًا.. ثم مزق أزرار  
قميصه وخلعه وألقاه - وهو يغمض عينيه

- على الشيء..، ولفه في القميص بإحكام  
وأمسك به..

أما الرجال الذين انحبست أنفاسهم  
للحظات فقد تنفسوا الصعداء وعادوا  
يواصلون تخليص المرأتين..، وهنا برز  
عجوز له شارب كث أشيب.. وأسنان  
نخرة.. يحمل بندقية قديمة جدًا من القرن  
الماضي، وكان يرتدي مثلهم تمامًا.. إلا أن  
طريقته المتمرسه في فض الشغب..  
واللهجة الأمرة التي جعلهم يتفرقون بها  
جعلتني أدرك أنه هو رجل الشرطة في  
هذه الجزيرة (لا أذكر ماذا كان اسمه  
بالضبط فمنذ وصلت اليونان وأنا غارق  
في دوامة لا تنتهي من حروف الواو  
والسين).

- (ديمتريوس بابادبولوس)..  
قالتها المرأة وهي تطلق سراح (تابيئا)..  
إذن كان هذا هو اسمه.. إنها تشكو له شيئاً  
ما، وتطالبه بأن يتخذ إجراءً حاسماً ؛ إلا  
أنه لم يعد مهتماً بالأمر.. بل ولم يبد على  
استعداد لسماع أي شيء. وتفرق الواقفون  
على حين أخذت المرأة تلوح بقبضتها  
قال الشرطي شيئاً ما لـ (ميخائيل)، ثم  
نظر لي في ريبة.. وانصرف..



كان تمثال الكلب قد تهشم حين هوى على  
الأرض.. لهذا حملت (تابيئا) رأس التمثال  
؛ وعدنا لكوخنا واجمين.. أنفي ينزف..  
ووجه (تابيئا) مليء بالخمشات..

و(ميخائيل) عاري الجذع يقبض على  
قميصه الملتف حول الشيء..، إنها لحظات  
كئيبة لكننا على الأقل سنعرف...  
سنعرف..



وفي الكوخ وضعنا الكيس الكئيب على  
منضدة.. ثم أحضرت (تابيثا) صندوقًا  
خشبيًا له مفصلان يتيحان فتحه وغلقه..  
وله قفل محكم ؛ ثم إنها أفرغت ما في  
القميص وبقايا الكيس داخل الصندوق  
وهي تحول وجهها تجاه الحائط.. ثم خلعت  
ساعتها..

والآن حان وقت البحث العلمي..

أحضرت كاميرا ذات فلاش وثبتها على حامل..، ثم أنها أحكمت تصويبها على الجانب الذي يفتح من الصندوق.. وأدارت مفتاح التوقيت الذي يتيح التقاط صورة بعد لحظات، ثم هرعت خلف الصندوق بحيث لا ترى ما بداخله.. وفتحته أمام عدسة الكاميرا.. و.. بعد لحظات.. كليك!.. والآن تغلق الصندوق وتهرع للكاميرا لتستخرج الفيلم..، وتقول:

- إن عندي هنا محاليل التحميض كلها..  
انتظراني.. وكورت الفيلم في قبضتها  
واندفعت إلى غرفتها..



كنت جالسًا أنا و(ميخائيل) فقط.. لكن شعورًا مروعًا كان يداهمني أننا أربعة.. الحضور القوي الذي لا ينكر لـ (ميدوسا) في صندوقها الخشبي.. ولرأس الكلب الصارخة حيث وضعتها (تايثا) على المنضدة..، قال (ميخائيل) في شرود:

- ما رأيك في كل هذا..؟

نظرت له.. ومددت يدي أشعل سيجارة..

كان منهمكًا فلم يستطع حتى أن يعترض:

- لا أصدق حرفًا..



ثم هرعت خلف الصندوق بحيث لا ترى ما بداخله .. وفتحته  
أمام عدسة الكاميرا ..



قلتها ونفثت الدخان..، وأردفت أمام عينيه  
المندهشتين:

- إن كل القصة مبنية على أساس وثني  
هو أن (زيوس) كان له وجود.. وكلانا  
يعرف أنه لا (زيوس).. ومادام لا  
(زيوس) فلا (ميدوسا).. هذا حتمي  
ومنطقي جدًا..

- أنا لا أتحدث عن (زيوس).. لربما كان  
هناك كائن حقيقي اسمه (ميدوسا) له القدرة  
على تحويل الناس الحجر، وحاول القدماء  
تفسير وجوده على هذا البصيص الوثني..،  
هذا هو ما أعنيه..

- ومتى وجد كائن يستطيع تحويل الناس  
لحجر..؟!!

- لماذا لا نفترض أن هناك إشعاعات معينة محولة للمادة تخرج من عينيه.. مثل عمل (المدافع النووية) التي تحول عنصرًا لآخر بقذف البروتونات.. هل تنكر عمل (روذرفورد) في هذا الصدد..؟

ضحكت في سخرية أثارت حنقه حتى سألني في ضيق عما يضحكني، فقلت:

- إنها تلك المحاولة المفتعلة لإكساب الخرافات ثوبًا علميًا..، محاولة تفسير الطالع - مثلًا - باستخدام قوانين (نيوتن).. أنا أو من بالسحر لأن الأديان السماوية أجمعت على وجوده ؛ لكني لا أو من برأس (ميدوسا) لأنه يناقض ما أعرفه دينيًا وعلميًا.. ولم أسمع عن كائن حي تعمل عيناه (كمدفع نووي)...

- وكل هذا الذي يحدث وحدث..؟  
فكرت حينًا.. ثم قلت شارداً الذهن:  
- لا أعرف.. هناك تفسير ما يمكن  
ابتلاعه.. لكن لا تحدثني أبداً عن لغة  
(زيوس) ثم تحاول أن تبني على ذلك  
صرحاً محكماً من المنطق..  
- على كل حال سترينا الصورة كنه هذا  
الشيء..



عادت (تايثا) من غرفة التحميص  
ممسكة بصورة لم تزل مبتلة بين أناملها..  
- ما هي الأخبار..؟  
قالت وهي تبعد الصورة عن متناول يدينا  
وترتدي ساعتها وخاتمها:

-لا أعرف.. بمجرد أن بدأت النسخة  
الإيجابية تتضح لي ؛ كفتت عن النظر..  
لن أجازف..

قلت لها مبتسماً:

- ولماذا؟.. هي مجرد صورة.. إن  
صورة باكتيريا الطاعون لا تسبب  
الطاعون..

- لا أجزم بشيء..، إن الأمر كله خارق  
للطبيعة، ولربما كانت هناك إشعاعات ما  
يتشر بها الفيلم وتعكسها الصورة...

هذا حق..، والواقع أن حذرنا قد راق  
لي..!، والآن أعيد خواطري القديمة عن  
(فلسفة الخوف).. برغم ثقتي في أن الأمر  
كله خرافة.. وبرغم ما قلته لـ (ميكائيل)  
منذ دقائق وكل عباراتي المنطقية المحكمة

فإنني لن أجرؤ أبدًا على إخراج هذا الشيء  
من صندوقه ولا على مجرد النظر  
لصورته!!.. إنني لا أومن بتأنا بوجود  
مصاصي دماء لكني حتى هذه اللحظة -  
أجذب الملائة حتى قمة رأسي لأحجب  
أوردة عنقي عند النوم.. أعترف بهذا..  
الخوف غير المبرر.. الذعر.. الهلع  
الحيواني.. هذا هو ما لم أفهمه بعد..  
والآن تتجه (تابيئا) إلى إحدى غرف  
الكوخ، وتعود حاملة قفصًا فيه عصفور  
زينة رقيق.. وتحمل الصورة وتقربها من  
ذلك السجين.. فيرمقها في براءة ولا  
يتحول إلى صخر..

وهكذا كانت تلك هي الإشارة لنا كي  
ننقض على الصورة كي نشاهد - لأول

مرة - كيف يبدو هذا الكابوس..



كانت الصورة بالأبيض والأسود تمثل صندوقًا تمسك به يدا امرأة ترتدي خاتمًا، (تابيئا) طبعًا، وبداخل الصندوق كان ثمة وجه.. أبشع وجه رأيته في حياتي حتى أنه ليشابه وجه قرد..، الأنياب تبرز من شفتيه.. والتجاعيد تملأ ما حول شفتيه وركني عينيه.. والعينان جاحظتان شاخصتان..

أما الشعر فلم يكن شعرًا.. كانت مئات الأفاعي تلتف حول نفسها وتتحدر على الجبين..، أما الجلد فكان مهترئًا متسلخًا...  
قلت مبللاً ريقى:

- من المؤكد أن الكثيرين من الخطاب لم  
يتقدموا لطلب يدها..!  
- ماذا تقول..؟  
- لا عليك يا (مخائيل).. لقد كنت  
أمزح..

كان الزوجان ينظران للصورة مسحورين  
وقد فقدوا النطق تقريبًا.. إن هذا الذي نراه  
الآن يتحدى كل منطق لدينا..، منذ سنوات  
عشر وقفت أمام مومياء (دراكيولا) ذات  
الأنياب شاعرًا بنفس الحيرة وعدم الفهم..،  
وتبذل فكري على هذا النحو حين أخرج  
وحش (لوخ نس) عنقه الطويل من تحت  
الماء..، وارتجفت ساقي هكذا حين  
سقطت تحت المذعوب فوق الثلوج وشعر  
صدره الكث يلتصق بفتحي وصوت خواره

يصم أذني.. لكني - ودائمًا. كنت أجد  
تفسيرًا أرتاح إليه.. فما هو تفسير هذا الذي  
أراه الآن..؟؟



قالت (تاييئا) وهي ترتجف ونحن  
جالسون في المطبخ نتبادل النظرات  
الحائرة:

- ترى هل كان الرأس الأول بهذه  
البشاعة..؟

- رأس أول..؟

- بالطبع..، كان هناك رأس وجدته الأستاذ

وسرق.. الآن لا بد أن هذا رأس ثان!!..

هذا منطقي.. إذ كيف عاد الرأس لمقبرته

مرة أخرى..؟!.. فلنرتب أفكارنا يا رفاق



ودعونا لا نفقد صوابنا.. ما هي  
الاحتمالات؟!!

الاحتمال الأول - تقول (تابيثا) - أن هذه  
هي جزيرة (الجرجونات الثلاث) نفسها..  
وبالتالي يكون هناك رأسان حقًا..، وبالتالي  
فإن هذين الرأسين يخصان شقيقتي  
(ميدوسا) اللتين قتلتهما شخص ما في زمن  
لاحق لزمن الأسطورة.. ومعنى هذا أن  
رأس (ميدوسا) نفسها ما زال مفقودًا..

الاحتمال الثاني - يقول (ميخائيل) - ان  
هذه هي جزيرة (كاسيوبيا) وأن المقبرة  
هي مقبرة (برسيوس) نفسه حيث دفنوا  
الرأس معه.. وبالتالي فإن هناك احتمالين:

١- أن يكون سارق الرأس قد أعاده لهذه  
الحفرة علمًا منه بخطرهِ.. وهذا يضع

أرملة (نيكوس) على رأس قائمة المشتبه  
فيهم..

٢- أن يكون الرأس مسحورًا وله قدرة  
ذاتية على التحرك!!

الاحتمال الثالث - أقول أنا - أن تكون كل  
هذه العوبة مدبرة من الأستاذ مع رئيس  
عماله طلبًا للشهرة خاصة وأنتما تقولان  
إنه عاش مغمورًا..

هل يوجد احتمال رابع..؟!، لم يبد على  
أحدنا أنه يملك ما يضيفه..

إننا نملك عدة محاور تتحرك عليها...  
أولاً: عليك يا (ميخائيل) أن تتفحص  
المقبرة بدقة متناهية أملًا في أن تجد ما  
يدل على صاحبها..

- إنها مهمة صعبة.. فالفراغنة كانوا يحبون الثرثرة ويكتبون كل شيء عن صاحب القبر على الجدران ؛ أما الإغريق فكانوا يكتفون ببعض الرسوم غالبًا..

ثانيًا: علينا أن نتقصى أمر كل من دخل الكوخ بعد أن صرخ الأستاذ في تلك الليلة.. من دخل بعد من.. وماذا فعل..

ثالثًا: يجب أن نسلم الراس للسلطات..، إن العلم - بصرامته القاسية - هو الذي سيثبت أو ينفي حقيقة هذا الشيء..

رابعًا: يجب أن نواصل الحفر في التربة.. لربما وجدنا جسدي الجرجونتين الباقيتين.. أو سيف (برسيوس) أو أي شيء من هذا الهراء يساعدنا على الفهم...

- سنعتمد على أنفسنا في هذا الجزء لأن  
هؤلاء العمال سيذبحوننا قبل أن نطلب  
منهم دخول المقبرة..

خامسًا: يجب إحكام غلق هذا الصندوق  
وإخفائه لأن محاولات عديدة ستتم لسرقته  
والتخلص منه.. أو ربما لسرقته والاستفادة  
منه..، إن من يملك رأس (ميدوسا) يمكنه  
أن يواجه جيشًا دون خوف..، يقتحم  
البنوك.. يواجه الشرطة.. عالمًا أن من  
يفتح عينيه ليراه سيتحول إلى حجر..!



والآن - وقد رتبنا خواطرننا - حان وقت  
النوم..

المشكلة هي أن الرأس يجب أن يبيت في  
غرفة أحدنا للتأكد من أنه لن يسرق..،  
نظرت لـ (ميخائيل) في ترقب.. فصاح في  
جزع:

- لا يا سيدي..!.. لا تنتظر إلي...

- ولم لا..؟

- لأنني أومن أن هذا الرأس يتحرك فلن  
أخذه لينام معي!

- ولكن..

قالت (تابيثا) وقد التمعت نظرة التحدي  
الساخرة في عينيها..

- ولماذا لا تأخذه أنت؟.. ألسنت ترى

الأمر كله العوبة؟!..

- بلى.. ولي.. ولكن...

- حسن.. أنت شجاع حقًا يا (رفعت)، أما  
أنا وزوجي ففاران مذعوران..  
- ل.. لا.. أ... أعنى..  
- إذن قضي الأمر.. عمت مساء.. ولا  
تنس مسح الدم من تحت أنفك!..  
وهكذا وجدت نفسي داخلًا حجرتي حاملًا  
الصندوق الخشبي يترجرج ما به من  
حمل..!.. مشكلتي هي عدم قدرتي على أن  
أقول لا بصوت مسموع.. ستكون ليلة  
طويلة حقًا!!



# ٨ - ليلة الرعب..

---

عقارب الساعة تدق..

الظلام الدامس يغمر الحجرة..،  
والصندوق الكئيب ملتفًا بالسواد يغفو فوق  
منضدة في ركن المكان..، المشكلة هي أن  
هناك ضوءًا خافتًا لا أدري مصدره  
يضيء الغرفة باعثًا آلاف الظلال وآلاف  
الاحتمالات..، هو ليس ذلك الظلام الأملس  
المسطح الذي أرتاح إليه..

[ هناك شخص في هذه الجزيرة يملك  
رأس (ميدوسا) ]..

[ ترى هل تألموا؟.. إذا لم يكونوا قد  
تألموا فلماذا صرخوا؟ ]..

[ لا تحاول يا (ميخائيل).. سيعضك .. إنه  
ليس في حالة طبيعية ]..  
[ الشيطان ذو النظارة قد جلب المزيد من  
النحس .. ]..

هل حدث كل هذا في يوم واحد؟! .. كأنه  
دهر..، أنا مرهق.. لكنني - كما تقول  
القصيدة الإنجليزية - ما زالت لدى آميال  
يجب أن أقطعها ومواعيد يجب أن أحفظها  
قبل أن أنام...

لم الخوف؟! .. ألسنت واثقا من منطقك  
العلمي؟! .. لم لا تنهض وتضيء نور  
المصباح وتفتح الصندوق لتأمل هذه  
السخافة عن كذب؟! .. لكنك جبان يا د.  
(رفعت) .. جبان..، كنت دائما تعزي نفسك  
عن ضعفك بامتلاكك العقل الراجح



والشجاعة.. والآن ها هو ذا الاختبار  
الأعظم لعقلك وشجاعتك..، افتح الصندوق  
ما دمت لا تؤمن بالأسطورة.. هيا..!



كان العرق البارد ينحدر على جبیني..  
والصراع في روعي قد بلغ الذروة..  
نهضت في تناقل من الفراش.. واتجهت  
إلى مصباح الكيروسين وأشعلته..، ثم  
اتجهت نحو الصندوق.. قلبي يخفق كالطبل  
في أذني.. ودمي يفور.. تحركي يا يدي..  
أنت ملكي ويجب أن تمتلي لإرادتي...

لا تفعل!.. بربك لا تفعل!..!

حاستي السادسة تصرخ مهية بي أن  
أراجع.. يدي تتردد.. ثم تتقدم..

أرجوك!!..

هكذا.. أعالج القفل..، الباب الخشبي.. لم  
تزل هناك فرصة للتراجع.. لكني لن أعود  
أدراجي أبدًا.. هيا يا يدي..  
وانفتح الصندوق..  
وبيد ترتجف.. رفعت المصباح ليضيء  
ما بداخله..



لم يكن هناك شيء!!..  
بمعنى أدق.. لم يكن هناك رأس..،  
وللمزيد من الدقة كان هناك رأس لكنه  
ليس رأس (ميدوسا)..، بل رأس الكلب  
الحجرية التي عادت بها (تابيثا) من  
المقبرة!!..!!..







لم يكن هناك رأس .. وللمزيد من الدقة كان هناك رأس لكنه  
ليس رأس ( ميدوسا ) ..

أين ذهب هذا الشيء؟..

وغلى الدم في عروقي.. إن هناك من يحاول أن يجعلني أحمق..، هذان الزوجان اللعينان يمارسان العوبة ما.. ولكن متى وكيف؟.. لقد ظل الصندوق أمامي طيلة الأمسية.. لم يدخله شيء ولم يخرج منه شيء..، لقد دخلنا المطبخ وتركناه وراءنا دقائق.. لكن كلا الزوجين لم يغب عن بصري ثانية واحدة..

والآن - وأنا واقف أرمق الصندوق في غباء - بدأ التفسير الوحيد لكل هذا يتراءى لي بوضوح تام.. (برغم أن كل خلية في عقلي ترفضه).

هذا الرأس يملك القدرة الذاتية على  
الحركة!



وهكذا تناسيت حذري وشرعت أفتش  
الحجرة في عصبية بالغة.. لا أعتقد أن  
هناك من بحث عن رأس بهذه الدقة  
والحماسة في التاريخ.. لا شيء..  
خرجت من الحجرة.. وأنا أحمل  
المصباح في كفي..، وقرعت باب حجرة  
الزوجين دون كياسة كأنني شرطي يقرع  
باب مجرم..، انفتح الباب وبرز لي  
(ميخائيل) مذعورًا وخلفه (تابيثا) تضم  
الروب حول جسدها..

كان الرعب قد بدأ ينطلق من عينيه حتى  
قبل أن أحكي شيئاً.. هاتين العينين  
اللعينتين...، ما إن ترى الرعب فيهما حتى  
يقتلك الرعب أنت نفسك.. هذا نوع آخر  
من الخوف.. أن ترى الخوف في عيون  
الآخرين حتى دون أن تفهم ما الذي  
أفزعهم...

- الرأس.. اختفى..

- ماذا..؟

أشرت بيدي في حركة توحى بالهباء:

- لا رأس.

- هل جننت؟!!

قالت (تابيثا) في رزاة:

- لحظة يا (رفعت).. تقول إن الرأس

اختفى.. وأنت لم تغفل عنه لحظة.. أليس



كذلك؟..

- بلي..، لقد فتحت الصندوق فلم أجد سوى رأس الكلب الحجري..

نظر لها زوجها نظرة معناها (ألم أقل لك؟)..، ثم شرع يمارس ذلك العمل الأحمق الذي لا بد أن يمارسه.. تفتيش الكوخ دون جدوى طبعًا.. لا دخلاء.. لا نوافذ مفتوحة.. لا رؤوس..

لقد طار الشيء والله - تعالى - يعلم أين وكيف اختفى..

- والآن..؟!!

- أعتقد أن من الأفضل أن نواصل النوم.. لا يوجد ما يمكن عمله في هذا الظلام.. ثم إن البحث عن هذا الشيء خطر جدًا..، إن العثور عليه فجأة سيتسبب

في مأساة..، ولربما كان من الحكمة إطفاء  
هذا المصباح..

ارتجفت (تاييثة).. وضوء المصباح  
يعكس ظلال وجنتيها على عينيها مما  
أكسبها مظهرًا شيطانيًا.. وهمست:

- بالفعل.. إن النوم هو السبيل الوحيد  
المؤكد لإغلاق أعيننا..

ودون أي اتفاق ودون أية كلمة أخرى  
تصرفنا بالطريقة الوحيدة المثالية لهذه  
الظروف.. حمل كل منا مرتبته إلى الصالة  
وكومنا المراتب في دائرة..، إن الفكرة  
التي دارت في أذهاننا في نفس اللحظة هي  
قضاء الليل معًا..

سيكون هذا - حتمًا - أكثر أمنًا..

- أتمنى لكما أحلامًا سعيدة..!

هكذا قلت وأنا أمدد جسدي على المرتبة  
فسمعت - في نفس الوقت تقريبًا - سبة  
إنجليزية من (تابيثا) وسبة إغريقية من  
زوجها..  
مشكلتي هي أنني مهذب مهما ساءت  
الظروف!..!



هل أشرق الصباح؟..  
بالطبع لا... إن هذه الليلة لن تنتهي أبدًا..  
والآن يزداد الأمر سوءًا إذا عرفنا أن  
(كاراداكيس) يتكلم في أثناء النوم، وهو  
يعاني كابوسًا مروعًا في هذه اللحظات..،  
إنه يصرخ.. ويتوسل باليونانية.. يهمس..  
ثم يصرخ::

كيف لا تسمع هذه الحمقاء كل هذا الضجيج؟!.. والآن أنا بين خيارين.. إما أن أوقظه وإما أن أخنق أنفاسه للأبد بوسادتي..، تحركت على ركبتي حتى وصلت جواره وشرعت أهزه في غلظة كأنني (أخص) قربة من اللبن..

- (كاراداكيس).. نم على جنبك... هيا!.. شرع يهرف بكلام كثير لا أول له ولا آخر.. ثم قلب.. هداً أخيراً.. والآن أعود لمرتبتي لأواصل الأرق..



لم استطع النوم اكثر ولم استطع الرقاد.. نهضت من الفراش العشوائي.. ومضيت أذرع الصلاة وسط الظلام الدامس متأملاً

لا شيء..

أريد بعض الهواء النقي.. وأن أرى نجوم الليل البريئة في عالمها الساحر بعيدًا عن كل هذه السخافات..

اتجهت لباب الكوخ وتحسست المزلاج حتى وجدته.. فتحتة.. وانسبت إلى خارج المكان..، أغلقت الباب خلفي نصف إغلاق لأنني لن أبتعد كثيرًا..

أشعلت سيجارة وشرعت أجذب دخانها في صدري شاعرًا بالدوار الناجم عن دخول هذا السم إلى رئتيين لم يدخلهما منذ ست ساعات..

الجزيرة غافية ملتفة في الظلام، والساعة تقترب من الثالثة فجرًا.. ولربما كنت أنا

الوحيد المتيقظ في هذا العالم.. أنا  
والنجوم.. و....

هل أنا أحلم..؟!...

لا... هذا واقع... هذا الضوء الخافت  
الضعيف القادم من إحدى نوافذ كوخ  
الأستاذ (ستافروس دندرينوس)... إنه  
حقيقي..، ليس مزاحًا وليس خيالاً.. الكوخ  
المغلق منذ شهور والذي لم يدخله أحد منذ  
تلك الليلة الرهيبة..، هذا الضوء ليس  
انعكاسًا لضوء آخر لأنه ببساطة لا يوجد  
ضوء آخر..

تدفق هرمون (الأدرينالين) في عروقي  
مرهفًا كل حواسي، جاعلاً مني شيئاً أقرب  
لقط متحفز..، إن هناك سرًا ما ويجب أن  
أعرفه.. هي مجرد نظرة من إحدى النوافذ

ستكون كافية لتفسير كل شيء..، ولكن  
هناك شرطًا واحدًا هو ألا يتوقف قلبي عن  
الخفقان وأن تطيعني قدمي اللتان تحولتا  
إلى قالبين من (الجيلي) يهتران ويأبيان أن  
يتماسكا..

هيا.. هيا.. وبيطء شديد...



الكوخ الكئيب..  
بيطء أدور حوله متحسسًا موطئ قدمي  
بين الرمال.. صوت البحر الثائر من  
بعيد.. ورائحة الأخشاب المكسوة  
بالطحالب؛ ومذاق التوتّر في فمي...  
والآن هذه هي النافذة المختارة..

أخذت شهيقًا عميقًا وقربت وجهي من  
الزجاج وشرعت أتأمل..

كانت النافذة مطلة على القاعة الفسيحة  
التي وجدت بها التمثالين ليلة وصلت  
للجزيرة.. وفي الضوء الخافت المبهم  
استطعت أن أرى التمثالين في وضعيهما  
الغريبين كما رأيتهما أول مرة.. هنالك  
بجوار الحائط ينظران إلى ذلك الشيء  
المروع على الأرض.. و...

[ ترى هل تألموا..؟.. إذا لم يكونوا قد  
تألموا فلماذا صرخوا؟ ]..

[ في العاشرة مساء سمعنا صرخة..  
صرخة رهيبة لم نسمع مثلها من قبل ]..  
وهنا ازداد توتري..



لقد ماتا وهما يصرخان..، هكذا قال  
الشهود أو هكذا قال (ميخائيل  
كاراداكيس)... إذا كان هذا صحيحًا فلماذا  
لا يصرخ أي تمثال فيهما؟.. الفم مغلق  
ونظرة رعب في العينين فقط.. لا شيء  
سوى هذا..

وعلى الأرض كان هناك تمثال مهشم لم  
أره من قبل..، أمعنت النظرة فأدركت أنه  
بقايا تمثال الكلب.. من جلبه ها هنا؟!.. لقد  
تركناه على الشاطئ بعد المشاجرة واكتفت  
(تاييئا) برأسه كتذكار..، فمن جمع البقايا  
وجلبها ها هنا؟.. لا بد أنه الشرطي العجوز  
(بابادوبولوس) قد جاء به ليضمه  
لمجموعة (المتحجرين)..، وحتماً هو من

أشعل المصباح ونسيه جوار التمثالين..،  
نعم.. لا يوجد تفسير آخر..



كنت منحنياً على الزجاج غارقاً في  
التفكير..، تاركاً ظهري مكشوفاً.. وناسياً  
باب كوخنا نصف مفتوح وبداخله يغط  
الزوجان في النوم..كان هذا إهمالاً شديداً..  
إهمالاً لا يمكن الاعتذار عنه..  
هل تعرف السبب..!!؟..



## ٩ - الغيوم تحتشد..

---

حين هوت الضربة على مؤخرة رأسي  
عرفت أي أحمق كنته..  
وقبل أن أفقد الوعي أدركت أنني بعد  
ثوان سأكون تحت رحمة ذلك الذي  
هاجمني تمامًا.. أنا والزوجان البائسان  
النائمان في الكوخ..  
ثم...



حين فتحت عيني كنت راقداً في فراشي  
وضوء الشمس البهيج يفترش الملاءة،  
وكان وجه مألوف يتفرس في بنفاز صبر

واضح..، كان وجه ذلك الشرطي العجوز  
الذي فض الشغب أمس..

ولم أكن في حاجة للمزيد من الأسئلة لأن  
القصة لا تحتاج لتفسير.. لكن أين  
الزوجان؟..، ولحسن الحظ وفرت على  
(تابيئا) المزيد من التوتر حين دخلت  
الغرفة حاملة كوبًا من الحليب.. وكانت  
كدمات عديدة منتشرة على وجهها  
المتورم.. وخلفها دخل (ميخائيل) ووجهه  
في حالة أسوأ.. وكانت قبضة يده ملفوفة  
بالشاش حتى المعصم..

- هل افقت يا (رفعت)؟...!

قالتها (تابيئا) في مودة.. وقدمت لي كوب  
الحليب وهي تعيني على النهوض..

- أعتقد أن الأمر لم يكن فقدان وعي  
كاملاً..، لقد بدأ كفقدان وعي ثم إنك  
واصلت نومك الهادئ بعدها..!  
- ماذا حدث؟..

- اعتداء.. لقد داهموا الكوخ ليلاً..  
ضربوك.. وأيقظونا أنا و(مikhail)  
محاولين إجبارنا على البوح بمكان  
الرأس.. ولم يكونوا على استعداد لتصديق  
أنه اختفى.. ضربونا ضرباً مبرحاً، وقلبوا  
الكوخ رأساً على عقب.. ثم ولوا الأدبار..  
- ومن هم..؟..

- كانوا ملثمين للأسف..  
أعدت رأسي للخلف، وناولتها كوب اللبن  
هامساً بالعربية:

- يا لي من مغفل!!



لم يحاول أحد الزوجين أن يلومني على إهمالي في إغلاق باب الكوخ البارحة لأن جميعنا كان يعلم أن المعتدين كانوا سيقترحمون الكوخ عنوة على كل حال..، لكن الأسئلة التي طرحناها ظلت معلقة: أين ذهب الرأس؟.. من سرقه في المرة الأولى؟ ومن سرقه في المرة الثانية؟.. أما السؤال عن شخصية المعتدين فلم يضايقنا كثيرًا.. إنهم - ببساطة - سكان القرية...!.. هذه هي الإجابة وهي كافية جدًا على ما أظن..

وفي الصباح فعلنا الشيء الوحيد الممكن: توجهنا إلى المقبرة حاملين أدوات الحفر

وشرعت أنا والزوج نستكمل الحفر.. في حين شرعت (تابيئا) تلتقط صورة مقربة للكتابات النادرة على جدران المقبرة..

أكثر من مرة شعرت بوهج الفلاش يلتمع في اتجاهي.. فنظرت لها متسائلاً، فصاحت في مرح دون أن ترفع الكاميرا عن عينيها:

- إنها صور نادرة لك غارقاً في الغبار والعرق.. ولن أفوتها...!!

في هذه اللحظة هوى (ميخائيل) بالرفش على طرف حذائي ؛ فصرخت من الألم.. في ثوان التمتع وهج الفلاش ؛ وانفجرت (تابيئا) ضاحكة هي وزوجها من هذه الدعابة (الظريفة) ..

- والآن ها هي ذي صورة لك وأنت  
تعوي كالذئب!!..

- أنتما مخبولان حقًا!!

واصلنا الحفر.. وأكوام التربة تتزايد في  
إهمال على جوانب الكهف..، وقد شعر كل  
منا أن محاولتنا خرقاء... و... لحظة!..

ثمّة شيء ما.. هل تشعر به؟.. نعم..  
تعال.. مد يدك ها هنا وأغمض عينيك.. ها  
هو ذا.. هل رأيت؟.. أعني هل شعرت  
به؟.. إنها كف من النحاس!.. كف مخليبة  
متقلصة من النحاس!!..

والآن نجد الكف الأخرى..

هل نفتح عيوننا؟.. لا بأس.. لا أظن أن  
كفى (ميدوسا) خطرتان كوجهها.. وفي  
افتتان نقف لنرمق هاتين القطعتين الفئيتين



البديعتين الرهيبتين..، كفين متقلصتين من  
النحاس الأصفر المغطى بطبقة سميكة من  
غبار السنين وعوامل الأكسدة..

قال (ميخائيل) وهو يلهث.. ويرتجف  
انفعالاً:

- أظن أن هذا يؤيد - تمامًا - نظرية  
(تابيثا).. هذه هي جزيرة (الجرجونات  
الثلاث)..، والرأس أو الرأسان اللذان  
وجدناهما لا يخصان (ميدوسا) بل  
الأنستين شقيقتيها!..

- هذا منطقي.. إن (برسيوس) لم يقطع  
يدي (ميدوسا) أبدًا.. أو على الأقل لم تذكر  
الأسطورة ذلك..

وهنا فطنت إلى شيء لم افطن إليه من  
قبل..، شيء كان كفيلاً - لو أنني أكثر  
ذكاء - أن يغير كل شيء ويوفر على



كفّين متقلّصين من النحاس الأصفر المغطى بطبقة سميكة من  
غبار السنين وعوامل الأكسدة ..

متاعب لا حصر لها..، ولأنني واثق من  
ذكاء القاري فلن أذكر هذا الشيء الآن  
حتى لا أقتل القصة قتلاً...

حين تعود لدارك بعد منتصف الليل..  
وأنت واثق أنه لا أحد بالداخل، وتجد الباب  
مفتوحاً.. والأنوار مضاءة.. ثم - برغم  
ذلك - لا تستخلص أية نتائج.. وتدخل  
الشقة لتجد لصاً..! عندئذ تلوم نفسك، لماذا  
لم تستنتج هذه النتيجة البديهية؟! لأنك -  
ببساطة - لم تتوقع أن يحدث هذا لك أنت  
بالذات..

هذا هو أدق وصف لموقفي لحظتها..  
وللمرة المليون أكرر.. لم أدرك أي أحقق  
كنته!..



وفي كوخنا جلسنا نتأمل الصور بعد أن  
أخرجتها

(تابيئا) من المحلول المثبت.. كانت هناك  
عدة صور لي تظهرني منهمكًا في الحفر  
كالفئران أو صارخًا كالمعتوهين.. ثم  
صور عديدة للرسوم التي كانت تملأ  
الجدران..

مضى (ميخائيل) يتأمل الصور في اهتمام  
وجبينه يتجدد رويدًا رويدًا مما دلني على  
مدى التركيز الذي يعانیه..، ثم همس وهو  
يداعب شفته السفلى بالحافة الحادة لإحدى  
الصور:

- لا شيء يدل على أن هذا قبر شقيقتي  
(ميدوسا).. لكننا على الأقل نعرف ذلك..  
أمسكت بإحدى الكلين النحاسيتين ؛  
وقلبتهما متأملًا:

- إنني أتساءل كيف كانت امرأة رقيقة  
تمارس حياتها بهاتين الكفين؟  
- إنهما بالتأكيد لم يسهلا لها الطهي أو  
أشغال (التريكو)..!

هذا صحيح.. لا يوجد مفصل واحد..  
قالت (تابيئا) وهي تصب لنا بعض  
القهوة:

- على كل حال.. لقد انتهت القضية..، لا  
يوجد رأس.. ولم يثبت لنا شيء واحد.. إنه  
الوقت المناسب لإغلاق هذه الصفحة  
وإبلاغ السلطات في (أثينا)..

نظر لها (ميخائيل) في عصبية.. وشرع  
يتكلم باليونانية في توتر وحماس.. وعيناه  
تلتمعان بغشاوة دموع ناجمة عن الغضب..  
وضعت (تابيثا) كفها على كفه مواسية..  
أما هو فشرع يردد لفظة يونانية ما...  
يجب أن أتعلم اليونانية.. يجب..، (تابيثا)  
تقرب وجهها من أذنه وتقول شيئاً ما.. ثم  
تلتفت لي لتشرح ما هنالك:

- إن (ميخائيل).. يرى أن هذا الكشف  
قضية عمره..، ويرى أنها فرصته الوحيدة  
- ربما الأخيرة - ليغدو عالم آثار مرموقاً  
ويفلت من مستنقع العلماء المجهولين..، إنه  
يقول إن التخلي عن هذا الكشف الرائع  
للحكومة قبل ان ينضج أشبه بمن يربي

طفلاً ثم يتخلى عنه بمجرد أن يتعلم  
المشي..

التفت لي (ميخائيل) بعينية الدامعتين..  
وهتف:

- بعض الوقت.. لنتنظر بعض الوقت فقد  
تتحسن الأمور..!

واففته على الفور خاصة وأني لم أر أي  
داع لهذا التشنج.. يمكنه أن يقول ما يريد  
دون بكاء.. يبدو أنني لن أفهم هؤلاء  
اليونانيين أبداً..



عدت لغرفتي وأشعلت مصباح  
الكيروسين وشرعت أحرق في اللهب شارد  
الذهن..، هناك مشروع صغير أنوي القيام



به..، ولكني أحتاج إلى معونة.. وبالتأكيد ليست معونة واحد من الزوجين..

مددت يدي أعبث في حقيبتني.. حتى أخرجت ما كنت أبحث عنه..، ثلاثة كتب عن تعلم اللغة اليونانية.. اثنان منهما للقاري الإنجليزي وواحد للقارئ العربي..، احتاج إلى فترة أسبوع أقضيها في دراسة مكثفة لهذه الكتب..

وبعدها.. بالطبع لن أستطع قراءة مسرحية ل (سوفوكليس) 5 لكنني على الأقل سأخذ فكرة مبهمة عن موضوع أية محادثة تدور أمامي..

حين تسمع عبارة يونانية طويلة تقال أمامك، وتلتقط منها كلمتين فحسب مثل (عشاء) و(صديق) فإن الأمر لا يبدو

صعبًا.. بشيء من الخيال يمكنك استنتاج  
أن فحوى العبارة "أن صديقي يدعوني  
للعشاء" أو أعدي العشاء لصديقنا.. أو أية  
عبارة أخرى تناسب الموقف..

هذا هو ما أريده..

لم أكن أريد أن أظل تحت رحمة الترجمة  
وما تجود به على فهمي...

وهكذا شرعت أدرس في حماسة حتى  
توترت عضلات عيني، وحين نمت أخيرًا  
كانت هناك صفحات كثيرة قد انتهت من  
الكتاب الأول..



صباح اليوم التالي خرجت وحيدًا للنزهة  
(كما قلت لهما).

شرعت أمشي في الجزيرة أرمق السكان  
في نظرة متلهفة إلى كسر الحواجز  
الخرسانية المشيدة بيننا.. أنهم يبدوون طبيين  
وبسطاء.. وأعتقد أن صداقتهم سهلة، لكني  
لم أنس لحظة ما أمثله لهم: الشيطان  
الأصلع الذي جاء ليزيد الحياة تعقيدًا..  
إنني بحاجة لمعرفة هؤلاء القوم.. أن  
أسألهم عن أحداث تلك الليلة، عن رؤيتهم  
الخاصة للأسطورة.. عن علاقتهم بالعالم  
(المتحجر) (ستافروس دندرينوس) وعن  
علاقته بتلميذه (ميخائيل كاراداكيس)  
وزوجته..  
كل هذا سيحل لو وجدت صديقًا واحدًا..  
واحدًا فقط..

بالإضافة إلى التحسن المحتم في لغتي  
الوليدة..، لم أكن أريد أن ألم بقواعد  
اليونانية بل إنني لم أحاول حتى التعرف  
على حروف كتابتها ؛ كنت أريد (الحد  
الأدنى للأمان اللغوي) الذي حدثت عنه  
(هاري) يومًا ما في أحد مقاهي  
(جامايكا)..؛ أن أفهم - بالتقريب - ما يقال  
أمامي.. وهذا لا محالة يحتاج إلى أن أجد  
من أتحدث إليه..

ولكن من...؟.. وكيف؟...

ويبدو أن الحل كان أقرب مما توقعت..  
كنت مارًا بجوار البئر شارد الذهن أرمق  
بنصف اهتمام العذارى الساحرات حافيات  
الأقدام يملأن جرار الماء وهن يتصايحن  
ويمرحن.. كأنها صورة من رسم جداري

إغريقي قديم ؛ حين أطلقت إحداهن  
صرخة.. وهوت على الأرض في الطين..  
أصابت الفتيات الباقيات حالة من  
الهستيريا وشرعن يجلسنها.. ويحاولن - يا  
لهن من حمقوات - صب الماء في حلقها..  
إنها مجرد حالة إغماء هستيري أو ناجم  
عن هبوط الضغط الدموي أو أي شيء من  
هذا القبيل..، والضحية تفيق تلقائيًا في كل  
الحالات ما لم يحاول أحد الحمقى إجلاسها  
أو صب سوائل في حلقها معرضًا إياها  
للاختناق...!

الحق أقول إنني لم أدر ما أفعله.. شققت  
صفوف الفتيات المندهشات.. وانحنيت  
لأريح رأس الفتاة المغشي عليها على  
الأرض.. وبصرامة أبعدت كل من تسول

لها نفسها أن تحاول إجلاسها أو صب  
الماء على شفتيها..

إن هذا هو ما يسميه الطب (الإهمال  
العلمي).. ما أن تتأكد من أن ما أنت  
بصدده ليس نوبة قلبية.. عليك أن تترك  
المغشي عليه وشأنه حيث هو على الأرض  
دون محاولات بطولية.. حتى تتكفل  
وضعيته الراقدة بتسهيل وصول الدم إلى  
المخ.. عندئذ يفيق وحده ويتساءل: ماذا  
حل بي؟..

وهذا هو ما أفعله الآن كأفضل ما  
يكون..!

وهكذا. وبعد ثوان - بدأ الدم يعود لوجنتي  
الفتاة.. وانفتحت عيناها عن تلك النظرة  
الخاوية المجردة من أي معنى..

كانت سمراء زرقاء العينين وخصلات  
شعرها الأصفر تتناثر في اهمال على  
وجهها وفي الوحل.. وكان منديل رأسها  
القدر قد سقط منها..، كانت جميلة لكنها -  
بالتأكيد - لم تكن نظيفة أو لعل سقطتها في  
الوحل قد جعلتها تبدو كذلك..

ما إن أحسست أنها عادت للعالم حتى  
ساعدتها على الجلوس.. وأشرت إحداهن  
كي تناولني كوب الماء الفخاري الذي  
تمسك به، وناولته للفتاة..

وتعاونت مع فتاة قوية العضلات على  
إنهاضها.. ومضينا في صمت وهي  
متوكئة علينا إلى دارها..

وفي داخل الكوخ الفقير خيل لي أنني  
أطوى الأميال إلى بيتي في قرיתי.. إن

الإنسان هو الإنسان في كل مكان، نفس الأثاث البدائي وأسراب الدواجن التي تتعثر فيها قدماءك.. وإخوتها الصغار يلعبون في الرمال ويرمقوننا في فضول..، ولهفة العجوز اليونانية المتشحة بالسواد والتي يمكن أن تكون أمي أنا..

ومثل أمي - لو كانت شقيقتي هي التي أغمي عليها - شرعت توبخ الفتاة بسيل من العبارات اليونانية التي لا أحتاج لكثير ذكاء كي استنتج معناها.. توبخها على خروجها دون إفطار، أو على ارتدائها ثياباً خفيفة أصابتها بالبرد، أو ثياباً ثقيلة جعلتها تختنق!.. أو أي شيء كانت ستقوله أمي في هذه الظروف...



ثم إن المرأة صبت لي بعض (الأوزو)  
في كأس وقدمته لي.. فرفضته شاكرًا،  
قائلًا:

- كرستوبولي..!

ضحكت هي والفتاة - صديقة ابنتها - في  
مرح..، ثم قالت لي الفتاة مصححة وهي  
تحرك شفثيها أكثر من اللازم لتتنقل لي  
النطق بدقة:

- خريستوبولي..!... خريستوبو....

لي.....!

- خريستوبولي..!

هكذا.. هذه أول كلمة منطوقة تضاف  
لقاموسي اليوناني..، لقد ربحت كلمة..  
وربحت. وهذا هو الأهم - خطوة أولى  
نحو مصادقة هؤلاء القوم..

لقد بدأ ذوبان الجليد..!



وهكذا صارت لي صلة صداقة لا بأس بها في هذه القرية، وبدأ عدد الساعات التي أقضيها في هذا الكوخ مع تلك الأسرة الصغيرة البسيطة يتزايد تدريجيًا..

لم يكن الأب موجودًا وقد تجنبت السؤال عنه بطبيعة الحال ؛ لأنه إما ميت أو سجين أو منفصل...!.. وكلها حالات لا تسمح بالفضول.. وكانت الفتاة - واسمها (إيرين) - شيطانة صغيرة مراهقة هي للطفولة أقرب وقد اعتبرتني منقذًا لحياتها دونما سبب واضح.. أما الأطفال فبدئوا يميلون إلى..

هنالك كنت أجلس في الشمس أداعب  
الصغار وأحدث (إيرين) عن كل شيء  
بلغتي اليونانية الوليدة وأكتب كل ما تقوله  
هي - بالنطق - بحروف عربية مشكلة،  
وألتهم الفطائر التي تقدمها لي الأم..  
وتدريجياً بدأ الجيران يقبلون حقيقة  
وجودي ويفهمون أنني مسالم.. وأني لا  
أتحول لمصاص دماء حين يحل الظلام..



لماذا لم أصارح الزوجين بحقيقة  
جولاتي؟..

لا أدري.. إنه ذلك الحافز الخفي الذي  
يرادوني باستمرار ويدفعني إلى عمل  
أشياء حكيمة جداً لا أدري سببها!..، كل ما

كانا يعلمانه عنى هو أننى أهوى السير فى  
الجزيرة وحيدًا لساعات طويلة كل يوم..  
والواقع أننى لم أكن الوحيد..  
(تابيتا) أيضا صارت تختفى لساعات  
طويلة فى مكان لا يعلمه إلا الله، ثم  
زوجها..

أين كانت تذهب، ولماذا..؟!...  
لقد فهمت كل شيء فيما بعد.. ويا له من  
تفسير..!



# ١٠ - الكوخ والنظارة الحجرية..

---

الواقع أن لغتي اليونانية قد تحسنت إلى حد غير عادي خلال أسبوع (أو أكثر قليلاً)..، صحيح أن عيني قد أرهقت من الدراسة الشاقة ليلاً على ضوء مصباح (الكيروسين) خاصة وأنتي لا أدري من السفاح الذي فكر في طباعة كتب تعليم اليونانية على ورق مصقول..!، وصحيح أن خلايا ذهني قد أوشكت على الاحتراق ؛ إلا أن النتيجة كانت رائعة..، وغدا حديثي مع (إيرين) - وهي تحفر الرمال

بأصبع قدمها الدقيق - أكثر تمكناً  
وسلاسة..

في ذلك اليوم دخلت لأجد (ميخائيل)  
جالسًا على المائدة الخشبية يدون شيئًا ما  
وأمامه أشياء حجرية دقيقة لم أدرك  
كنها.. أشار لي لأجلس.. ثم مد يده  
والتقط.. سمكة حجرية تتلوى كانت أمامه،  
وغمغم:

- هل رأيت هذه؟!..

مددت يدي في تردد.. والتقطت الجسم  
الأملس.. كانت سمكة من نوع مجهول  
كهذه التي نأكلها يوميًا..، وكانت جاحظة  
العينين تتلوى في ألم واضح كأنها في  
شباك صياد..، وكانت ثقيلة جدًا..

- إن هذا يعني..

- نعم.. لقد غاص الرأس في بحر (إيجه)!! وتحجرت الأسماك!..
- ومن وجد هذه الأسماك؟
- واحد من صياديننا.. كان يسير جوار الشاطئ حين وجد عشرات الأسماك الحجرية قذفها الموج هنالك!..







مددت يدي في تردد .. والتقطت الجسم الأملس .. كانت  
سمكة من نوع مجهول كهذه التي ناكلها يوميًا ..

تأملت السمكة في اهتمام.. ثم غمغت في  
حيرة:

- غريبة خواص الماء عندكم!...

- ماذا تعني؟..

- إن قوائين (أرشميدس) الخاصة بطفو  
الأجسام لا تسري على (اليونان) فيما  
أظن.. رأس يهبط للأعماق، وأسماك  
يتجاوز وزن الواحدة منها نصف  
الكيلوجرام وتطفو برغم ذلك!!..

ازداد وجهه حيرة واتسعت عيناه  
الزرقاوان:

- الام تلمح؟

دون شعور أشعلت سيجارة متجاهلاً  
تعبير الاحتجاج على وجهه.. وقلت:  
- إنها دعابة لا أكثر.. ولمرة أخرى أشعر  
أن هناك تلفيقاً في الأمر..، هناك من وضع  
هذه الأسماك عمداً ليوحي لنا أن الرأس في  
أعماق البحر..، وليس هذا كل شيء..  
ووضعت السمكة على المائدة.. واردفت:  
- الكفان النحاسيان..، خطر لي عندما  
وجدناهما أنه من الصعب أن يكون هناك  
(أثر لحام) في كفي (ميدوسا)!.. لكنني لم  
أتماد في خواطري وقتها ولم أعلق أهمية  
ما على تلك الملاحظة..، لكنها هامة جداً..  
لقد تم صب هذين الكفين ولحام نصفي كل  
كف.. وقد ظل هذا الموضع واضحاً برغم

ما قام به النحات من معالجة النحاس  
كيميائيًا لإكسابه منظر القدم..

كان ينظر لي مقطبًا وعلى وجهه  
علامات الاهتمام..

على حين استطردت:

. ثم النقطة الأكثر أهمية.. لقد كانت

تجول في ذهني حين ضربوني في تلك

الليلة والآن أعود فأذكرها..، لقد مات كل

ضحايا (ميدوسا) وهم يصرخون.. لكننا لم

نجد تمثالًا واحدًا يصرخ.. هل تعرف

السبب؟..

ونفتت دخان السيجارة:

- لأن النحات العبقري لم يكن يعرف

كيف يبدو ضحاياه وقت الصراخ.. لقد

أراد أن يحاكي ملامحهم بدقة ؛ لكن هذه

الملاح كانت ستتشوه بشكل مريع لو حاول أن يجعلهم يصرخون وكان التعرف عليهم سيبدو صعبًا... ثم تأتي النقطة التالية..

وأشرت إلى نظارتي..

- النظارة.. نظارة الأستاذ (ستافروس دندرينوس).. قلتما أنه كان ضعيف البصر وكان يكتب خواطره على المكتب ثم نهض ليبحث عن الرأس تحت الفراش.. ألا يحتاج كل هذا إلى أن يظل مرتديًا نظارته؟!.. والآن لم يكن تمثاله الحجري يرتدي نظارة.. ولم يقل أحد إنه وجد النظارة.. لماذا؟!.. لأن نحت النظارة كارثة حقيقية وشديدة الصعوبة (ووثق أن لي خبرة في هذا الصدد)؛ لهذا فضل نحاتنا تجاهل

الأمر أملاً في أن أحداً لن يبحث عن هذه  
النظارة الحجرية..

كان سيل استنتاجاتي يتوالى.. والنظرة  
المذهولة على وجه (ميخائيل) تزداد  
وضوحاً..

- هكذا تري يا (ميخائيل) أن اللعبة  
بأكملها لعبة نحات بارع.. صحيح أن لي  
تحفظات حول قدراته على نحت النظارات  
والوجوه الصارخة لكنني لا أشك في  
موهبته لحظة..، هذا النحات استطاع أن  
يجعلنا نعيش في كابوس حقيقي من صنع  
يده..

- ولكن من هو؟..

- هذا هو السؤال كما قال (شكسبير):..،  
على أنني لا أستبعد ما قلته من قبل.. وهو

أن هناك العوبة محبوكة خطتها هذا الـ  
(دندرينوس) بحثًا عن مجد علمي  
مزيف..، وهو الآن مختبئ - مع رئيس  
عماله - في كوخ ما يضحكان..  
- و... وكلي الذي...؟

- لقد تركنا الكلب في الكهف فترة لا بأس  
بها كافية لأي شيء.. و...

وهنا ابتلعت ريتي.. الواقع أن أحدًا سوانا  
لم يكن ليستطيع أن يستعد بتمثال كلب  
تحسبًا لهذه اللحظة!، من المستحيل أن  
يكون هذا النحات قد أعد تمثالًا لـ كلب  
يتلوى على أمل أن نستخدم الكلب للبحث  
عن الرأس يومًا ما..

والواقع أنني - أعترف - أجد في كل  
لحظة ما يدعم شكوكي في هذين الزوجين

اللطيفين..، وأنني قد ارتكبت حماقة لا بأس بها حين صارحت (ميخائيل) بشكوكي.. لكن حكاية الأسماك هذه قد فاقت قدرتي على التحمل..

في هذه اللحظة انفتح الباب ودخلت (تابيثا).. كانت غارقة في العرق ومنهكة تمامًا وعلى ذراعها تتدلى حقيبة جلدية ثقيلة، وما إن رأته حتى لوححت في فتور وهي تلقي بحملها في إهمال على الأرض:

- هاي..!

- مرحبًا..!

وجلست على المائدة.. ومدت يدها لتحسس الأسماك الحجرية الملقاة هناك، نظر لها (ميخائيل) وقال لها شيئًا ما.. باليونانية!، تحفرت كل حواسي وأنا



انصت إلى عبارات اللغة التي لم تعد  
مبهمة بالنسبة لي إلى هذا الحد..، كأنه  
كهف مظلم اعتدت دخوله.. واليوم ادخله  
لأول مرة حاملاً كشافاً كهربياً!..

- هل أنت (.. لم أفهم) الكوخ الآخر؟
- نعم.. (.. لم أفهم).. عمل كثير.. (لم أفهم).. ثلاثة..
- (لم أفهم).. لا يصدق.. (لم أفهم)..
- (.. لم أفهم).. (لم أفهم)؟
- (.. لم أفهم).. العامل.. (لم أفهم)..  
الكلب..

إن هذه المحادثة شديدة الأهمية.. هناك  
كوخ آخر.. تقوم فيه (تابيئا) بعمل كثير  
ينتهي بعد ثلاثة.. وقد أدركا أنني لا  
أصدق.. وأن العامل والكلب لها علاقة

بالموضوع.. هذا هو كل ما يمكنني  
استخلاصه..، مشكلتي مع (إيرين) هي  
اعتمادها المطلق على الإشارة إلى أشياء  
بعينها مع ذكر اسمها.. تشير لكلب وتقول  
لي إن اسمه كذا.. تشير لكوخ وتقول لي  
إن اسمه كذا..، لكن هذه الطريقة - طريقة  
الخواجة (ماكسيميليان برليتز) 6 - تكون  
مرهقة جدًا إذا ما حاولت أن تشرح لي  
معاني مجردة مثل: الحياة.. الفكرة..  
الجريمة.. القلق.. إلخ..، كما أن ترجمة  
الأفعال تصير شبه مستحيلة.. دعك من  
الظروف والأسماء الموصولة.. لكنني  
على الأقل أعرف أن هناك خطوة أولى..  
الكوخ الآخر.. كوخ الأستاذ (ستافروس  
دندرينوس) حتمًا..

سيكون علي التسلل إليه هذه الليلة..،  
وكبداية لأبد من سرقة مفتاحه من  
(ميخائيل) الأمر الذي لن يكون صعبًا إلى  
هذا الحد..، إنني لم أر شخصًا أكثر إهمالًا  
منه في حمل المفاتيح ولن أحتاج إلا لدقيقة  
أبدل فيها بالمفتاح مفتاحًا صدئًا يشبهه  
تمامًا من سلسلة مفاتيحي الخاصة.. مفتاح  
دولابي الخاص في المدينة الجامعية منذ  
عشرين عامًا على الأقل!

والآن.. تم كل شيء بنجاح.. ها هو ذا  
المفتاح في قبضتي.. والشكوك في  
صدرى.. ولكن.. لماذا نسيت مسدسي في  
(مصر) هذه المرة؟..

حقا إنني أرتكب حماقات عديدة..!



والآن نام الزوجان وساد الظلام  
الجزيرة..

تعال معي.. هل ترغب في مشاركتي هذه  
المغامرة القصيرة؟.. إذا كنت لا تريد ذلك  
فهذا شأنك أما أنا فذاهب.. لا تخذلني..

ستأتي معي..؟.. حسن.. فلنخرج من باب  
الكوخ في هدوء وخفة..، ولنغلقه من  
ورائنا.. وفوق الرمال الناعمة نمشي  
نتحسس خطواتنا.. نحو الكوخ الآخر  
نمشي.. ونخرج المفتاح الصديء نعالج به  
القفل على ضوء البطارية..

إنني سعيد أنك قد جئت معي.. فإنني  
أشعر بالاطمئنان إلى حد كبير..

احترس لأن دخولنا سيثير اضطراب  
الوطاويط.. إنها لا ترى. هذه المخلوقات  
البريئة البشعة. لكنها مرهفة السمع إلى حد  
مرعب..

والآن أغلق الباب خلفك واتبعني.. إن  
خشب الأرضية يصدر صريرًا.. وضوء  
الكشاف يرسم دوائر مرعبة في كل مكان  
لكن لا تهتم..

هذان هما التمثالان المفترضان للضحيتين  
السابقتين مع تمثالي الفارين، و.. لقد  
اختفت بقايا تمثال الكلب المهشمة.. هل  
لاحظت هذا؟ فيما عدا ذلك لا يوجد شيء  
يثير الريبة.. لا شيء..

لكن...

هل ترى هذه الآثار الواضحة فوق خشب الأرضية المكسو بالرمال؟.. آثار قدمين متميزتين.. وبالتحديد صندل (تابيئا) ذي النقوش المتموجة..

الآثار تتحرك - جيئة وذهابًا - فوق خشب الأرضية وشعاع البطارية يجري فوقها..، إلا أنها تتوقف عند.. عند هذا اللوح الخشبي المتحلل والذي لا يثبتته سوى مسمار محوي صدئ...

هل هذا صوت باب كوخ يفتح؟!.. للحظة توقفت كل وظائف الحيوية.. ثم قلت لنفسي إنه صوت الأمواج البعيدة...

بعناية انحنيت فوق لوح الأرضية وعالجت المسمار المحوي..، ها هو ذا يدور مما يجعل رفع ذلك اللوح ممكنًا..

هذا هو ما توقعته..، والآن سأرفع اللوح  
ببطء شديد.. وأوجه شعاع البطارية عبر  
الفتحة...

إن تحته ما يشبه الكهف المظلم.. إذن هذا  
هو المخبأ السري الذي ترتاده (تابيئا)..  
والذي يحوي تفسير كل شيء..  
هل أدخل؟.. لم لا..؟.. إنني واثق أن  
الزوجين نائمان.. ثم إنك معي وهذا يكفي  
لكيلا يقتلني الهلع..

انحنيت على ركبتي ووضعت الكشاف  
في فمي.. وشرعت أدس جسدي في الفتحة  
الضيقة شاعرًا بآلام سنين عدم المران..،  
وفي محاولة حمقاء ألقيت بجسدي أرضًا..  
فوق الرمال هويت - من ارتفاع بسيط  
لحسن الحظ - وما أن استطعت الاتزان

على قدمي حتى شرعت أتفحص المكان..،  
كان كهفًا صغيرًا دعت حوائطه بعروق  
خشبية عشوائية.. وفوق رأسي كانت  
الفتحة التي دخلت منها.. ان الصعود إليها  
ومغادرة المكان لن يكون سهلًا لكنه  
ممکن..

بدأت أتفقد المكان ببطء شديد..  
علب طعام محفوظة مدفونة في الرمال  
وبضع زجاجات فارغة..، ثم أدوات نحت  
مبعثرة في إهمال هنا وهناك.. إذن هذا هو  
(الأتيليه).. وعند قدمي وجدت بقايا حجرية  
مألوفة لي.. بقايا تمثال كلب.. لهذا بادروا  
بإخفاء هذه البقايا.. لأن تهشم التمثال أظهر  
بوضوح قطع السلك المغموسة كدعامات



في خامته.. لم يلحظ أحد ذلك في الظلام  
لكن عيني النحات الخبيرتين فطنتنا للأمر..  
رفعت شعاع البطارية في بطاء..  
فوجدت..

وجدت تمثالي وأنا أصرخ في هلع..!  
لبضع ثوان اختل توازني تمامًا.. ثم بدأت  
أستعيد أفكاري..



إنها لتجربة عجيبة أن ترى نفسك في  
صورة تمثال بالحجم الطبيعي واقفًا يترنح  
وإحدى يديه تحمل كشافًا والأخرى تتلوى  
محاولة حجب الرؤية..! كان التمثال متقنًا،  
ولم ينس النحات هذه المرة أن يضيف  
نظارتي.. وكان التمثال يرتدي قميصًا

صيفياً وبنظرونًا مشمرًا كأن صاحبه كان  
يسير على الشاطئ..، وعلى الوجه كانت  
الملاح المتقلصة تعكس أعتى أمارات  
الألم الممزوج بالرعب..

وعند قدمي التمثال كانت ثلاث صور  
فوتوغرافية مألوفة لي... الصور التي  
التقطتها لي (تابيئا) مداعبة منذ أيام...!  
أه!.. الأوغادا!.. هذه المرة لم ينسوا  
النظارة.. وكانت عندهم صورة واضحة  
لي وأنا أصرخ التقطتها لي هي حين  
تظاهر (مخائيل) بأنه يمازحني وهوى  
بالرفش على قدمي...!

إذن (تابيئا) هي ذلك النحات العبقرى  
الذي نحت تمثالاً لي مستعيناً بصور  
فوتوغرافية.. نعم.. في أيام الدراسة كانت

شيطانة الجامعة الموهوبة - كما قالت هي  
- تجيد الرسم والنحت وكتابة الشعر  
والقصة، ولها مراسلات تفخر بها مع  
(ماتيس) النحات العبقرى..، لكني  
نسيت..!... نسيت تمامًا..

لماذا فعلا ذلك؟.. ما هو سر هذا التبدل  
الشرير في شخصيتها؟!..

لا أدري.. ولا أرى تفسيرًا لكل هذا..  
لكن هناك حقيقة واحدة.. لقد أعدا كل  
شيء لاختفائي..، لقد تحددت الضحية  
القادمة لرأس (ميدوسا).. وهذه الضحية  
هي أنا..!



عدت للكوخ شارد الذهن تمامًا (لكني لم  
أنس إزالة آثار أقدامي وإغلاق الباب)..  
وقد بدأت أدرك أنني في مأزق خطير..  
لقد قررا - لسبب ما - أن يتخلصا مني،  
وقد قررا أن يبدو الأمر على أنه حادث  
أليم ألم بي في أثناء سيرى على الشاطئ..  
فجأة وجدت رأس (ميدوسا) الذي ألقى به  
الموج على الرمال.. وقد حدث هذا ليلاً  
لأنني كنت أحمل كشافاً.. لقد انتهى العد  
التنازلي فالتمثال مكتمل.. هذا هو سر  
اختفاء (تابيئا) المتكرر في الأيام  
الماضية..، ومعنى هذا أن نهايتى ستتم في  
الساعات أو الأيام القليلة القادمة..، وبعد ما  
قلته لـ (ميخائيل) لم يعد لديهما مبرر

للتردد فيما يتعلق بشأني.. إنني خطر داهم  
عليهما..



هل أهرب؟.. هل أبلغ الشرطة؟..  
هذا هو الحل الوحيد الممكن..، لا مجال  
للممارسات البطولية..، ولكن لربما كان  
إبقاء الأمور كما هي هو الحل الأفضل هذه  
الليلة.. بعض النوم لن يضير أحدًا ما دمت  
سأحكم إغلاق غرفتي..، وما دمت سأتحلى  
بالحذر..

وهكذا.. نمت.. ولكن أي نوم!...  
في الصباح جلست على مائدة الإفطار  
أرمقهما في نظرات متوترة حاولت أن  
أخفيها قدر الإمكان..، يا للنفاق!.. هما

يريدان قتلى وأنا أعرف ذلك لكننا  
نتصرف كسادة مهذبين..، بحذر تمكنت  
من أن أعيد مفتاح الكوخ الآخر إلى سلسلة  
مفاتيح (ميخائيل) وأن أسترد مفتاحي  
العتيق..

صبت لي (تاييثة) كوبًا من اللبن وقدمته  
لي.. ثم صبت كوبًا آخر لزوجها..، قربت  
كوب اللبن من شفتي وكدت أشرب لولا  
أنني لاحظت شيئًا ما..

لماذا اختارت لي هذا الكوب الكبير  
المميز واختصت (ميخائيل) بالكوب  
الآخر؟..

ولماذا تتجنب النظر لعيني، وترتجف  
شفتها بهذا الشكل؟!..

تباطأت في تناول اللبن.. وأصخت سمعي  
لما يقول الرجل باليونانية:

- هل هذا هو الكوب (.. لم أفهم..)?..

قالت دون أن تنظر لي أو له:..

- نعم.. (لم أفهم..).. لبن.. (.. لم

أفهم..).. يموت بعد دقائق!!



## ١١ - كشف الأوراق...

---

أخذ عقلي يعمل كمحرك سيارة سباق..

إن أمامي عدة حلول: أن أرفض  
الشرب.. أو أسكب الكوب بحماسة.. أو  
أتركهما وأفر.. لكن عقلي المحموم كان  
عاجزاً عن الموازنة بين هذه الحلول..  
قالت (تابيثا) في حنان وهي تبدأ إفطارها:  
- ما بك يا (رفعت)؟!.. هل كرهت الحليب  
فجأة؟!..

يا لك من أفعى!!.. هذه الرقة وكل هذا  
الحنان من أجل قتلي!.. لكن ماذا عساي  
فاعل؟!.. ليس من الحكمة إثارة ريبتها لأن  
هذا قد يدفعهما إلى استخدام طرق أخرى..  
(ميخائيل) قوى البنية وزوجته تمسك  
السكين لتقطيع الخبز ولن تكون مواجھتي  
معهما مضمونة النتائج لي أنا النحيل  
العجوز متلاحق الأنفاس..



وهكذا.. كان الحل الوحيد الذي بدا لي  
ممكناً..

مددت يدي إلى المائدة فضربت كوب  
الحليب الذي انسكب على المائدة على  
الفور...

شرعت أردد عبارات الأسف.. وأجفف  
المائدة بخرقة قماشية كانت هنالك..  
لحظات ثم رفعت عيني لتلتقي بنظرة باردة  
قاسية في عيني (ميخائيل) الزرقاوين..  
وعلى ثغر (تاييئا) الرفيع القاسي تلاعبت  
ابتسامة نصر وحشية..

بعد ثوان خرج صوت (ميخائيل) بارداً  
هادئاً كنظرته:

- إذن أنت تفهم اليونانية...!

نظرت له في ذهول..، إلا أنه واصل  
الكلام دون أن يبدل جلسته:

- لا يوجد سم في الكوب.. إنه مجرد  
اختبار بسيط أجريناه للتأكد من مدى فهمك  
اليونانية، وقد نجحت في الامتحان.. أو  
بالأحرى رسبت فيه!!



رفعت رأسي في استسلام.. وقلت:  
- كيف خمنتها؟

قالت (تاييتا) بنفس الابتسامة:  
- لا صعوبة في الأمر.. كنت - في البداية  
- تصغي لمحادثاتنا اليونانية بتلك النظرة  
الزجاجية الخاوية التي تميز كل من يسمع  
محادثة بلغة لا يعرفها.. مع لمسة قلق

وتحفظ توقعًا لأن يكون هو محور هذه  
المحادثة..، في الأيام الأخيرة تغيرت  
نظراتك.. لم تعد خاوية بل صارت ناطقة  
بالفهم.. بالمشاركة ؛ وإن حاولت إخفاء  
ذلك!!

قال (مخائيل):

- ثم إن لي مصادر معلوماتي في  
الجزيرة.. من الحماسة أن تعتقد أنني لم  
أعرف بأمر زيارتك لهذه الأسرة اليونانية  
ومحاولاتك الجادة لتعلم اللغة اليونانية  
منهم..، لماذا لم تطلب المساعدة؟.. بالطبع  
لأنك تريد ألا أعرف أنك تعرف..  
ولماذا؟.. لأنك تريد التجسس علي أنا  
و(تابيثا).. ولماذا تتجسس؟.. لأنك  
تشك...!

نظرت لي (تابيثا) في رزانه.. وابتسمت  
نفس الابتسامة، قائلة:

- إنني و(ميخائيل) نعتقد أننا نعرف ما  
تعرفه.. لكننا نريد سماع رأيك في  
الموضوع.. هيا!.. لا تخجل!..

نهضت من مقعدي في توتر مزمعاً أن  
أهرب..

وهنا لمحت شيئاً ما في يد (ميخائيل)  
جعلني أدرك أن عرضهما لا يمكن  
رفضه..، مسدساً أسود اللون بشع المنظر  
في يده مصوباً إلي وفوهته أكثر طولاً مما  
أتوقع.. لأبد أن هذا هو (كاتم الصوت)  
الذي كنت أراه في السينما.. وفي عيني  
(ميخائيل) رأيت الحقيقة.. إنني لن أخرج  
من هنا حياً...







وهنا نحت شيئاً ما في يد ( ميخائيل ) جعلني أدرك أن عرضهما  
لا يمكن رفضه ..

أشعلت سيجارة عالمًا أن أحدهما لن  
يعترض هذه المرة.. وقلت وأنا أعود  
لمقعدتي:

- حسن.. سأتكلم..

خفض فوهة المسدس وإن أبقاها مصوبة  
على دائرة جسدي.. وأشار لي أن  
استمر..، أردفت:

- لقد كان الأمر كله محاولة للتخلص من  
البروفيسور (دندرينوس) الذي أعتقد أنه  
كان يهددكما بشيء ما... ربما كان يملك  
دليلاً يدينكما في شيء مثل.. مثل تهريب  
الآثار مثلاً.. أليس كذلك؟

- بلى.. أنت لم تخطئ كثيرًا.. استمر..



- وهنا ولدت الفكرة الجهنمية التي لا تكتبها إلا مؤلفة رعب موهوبة مثل (تاييٲا).. لماذا لا تعيدان أسطورة (ميدوسا) للحياة..؟!.. لا تحتاجان إلا لتمثال أو اثنين.. ورأس محنط لقرد خيٲت إليه بعض الثعابين، لقد كان عملاً مقرزاً لكن الفكرة المجنونة كانت قد تملككما.. ثم إن أحداً - وكنتما تعملان على هذا - لم يكن ليجرؤ على تجاوز الحاجز النفسي والنظر للرأس مباشرة.. إن الصور الفوتوغرافية كانت ستخفي آثار التلفيق إلى حد ما..

- استمر..

- وبدأت (تاييٲا) ترتب كل شيء..، لا أدري هل قتلتما رئيس العمال أم أخفيتماه

لكن التمثال أدى عمله جيدًا مع صرخة هلع.. وبعدها تترك ان تقدير الأمور للبروفيسور العجوز الملتاع..، لقد راهنتما (وربحتما الرهان) على أنه سيدون ما ظن أنه وجدته في دفتر مذكراته بخطه.. كدليل لا يمكن تجاهله..، وفي تلك الليلة حين أدرك أن هناك خدعة ما.. دخل (مikhail) الكوخ وصرعه.. ثم قمتما بوضع التمثال المعد مسبقًا عند الفراش.. لقد دبرتما الأمر كما تخيلتماه.. ونحتت (تاييئا) تمثالين لفأرين لتدعم قصة الكيس المثقوب، بعدها يصرخ (مikhail)، (بمجرد أن تنتهيا من إخفاء الجثة) وتبادران بالهرب من النافذة قبل وصول النجدة..، ثم - كما هو متوقع -

يبرز الزوجان البريئان من كوخهما  
ويهرعان مع الباقيين لنجدة الأستاذ..

- الواقع أن حادثة الكيس المثقوب حدثت  
فعلًا.. كانت صدفة جميلة!!

- و(نيكوس)؟.. هل قتلتماه؟

-.. بالعكس.. إن رئيس العمال العجوز  
تعاون معنا في تليفق المشهد إلى أقصى  
حد.. وهو بنفسه الذي وضع تمثاله في  
القبر المعد مسبقًا - منذ عدة أيام - ليكتشفه  
هو..

- وأين هو الآن..؟

- يا له من سؤال!.. في واحد من الكهفين  
الموجودين أسفل الكوخ ينتظر انتهاء هذه  
المهزلة ليهرب معنا إلى (الولايات  
المتحدة) بعيدًا عن فقره وزوجته الثرثارة

الفضة..، من حسن حظك أنك وجدت  
الكهف الآخر فلم تقابله!..

صحت في ذهول:

- كـ.. كيف عرفتما؟!!

- إنك وجدت الكهف؟.. هذا بسيط جدًا..

لقد ذهبت (تاييثةا) صباحًا إلى الكوخ فلم  
تجد آثار أقدامها هناك!!.. هناك من نظف

الأرضية بعناية ليزيل آثار قدميه هو..

وهو ليس أنا ولا (نيكوس).. إذن من؟!..

إن مفتاحك المزيف لم يخذعني لحظة..

تنهدت في ضيق.. ثم واصلت الكلام:

- حسن.. لقد وصلت عبقريتكما الذرورة

في مشهد الكلب المتحجر..، إنها فكرتي..

فكرت فيها صباحًا وتحجر الكلب ليلاً..

من المستحيل أن أتصور أنكما نحتما كلبًا

بهذه السرعة، لكن هناك تفسيرًا بسيطًا..  
إنكما كنتما تنتويان بالفعل أن تقترحا علي  
استخدام الكلب.. ولهذا أعددتها كلبًا  
متحجرًا لهذا الغرض، إلا أنني قدمت لكما  
الفرصة بحماقة حين عرضت أنا استخدام  
الكلب.. وهكذا نفذت الخطة بسهولة وأعتقد  
أن (نيكوس) هو من وضع التمثال في  
اللحظة التي تركنا فيها المقبرة لنحمي  
عيوننا.. أرجو ألا تكونا من الشر إلى  
درجة قتل هذا الحيوان.. البريء؟!!

قالت (تاييثة) في استنكار:

- مستحيل!.. هل تظننا سفاحين؟!.. إنه

الآن يلعب مع (نيكوس) في مخبأه  
السري..

ألقيت عقب السيجارة على الأرض..  
وقلت مستطرّدًا:

- نأتي الآن إلى اختفاء الرأس..، كان هذا هو الحل الوحيد والممكن لأنكما لم تجروا على ترك هذا الرأس لقبضة العلم التي لا ترحم..، لهذا كان على الرأس أن يختفي.. ليلة تحجر (البروفيسور) ثم ليلة تحجر (الكلب).. لقد أجادت (تابيثا) خداعي حين استبدلت رأس الكلب الحجرية برأس (ميدوسا) في كسر من الثانية... و.. هل استبدلت الرأس قبل أم بعد التصوير يا (تابيثا)؟

- بالطبع قبل التصوير حين أبعثتم أنظاركم عن الصندوق.. إن الصور الفوتوغرافية كانت معدة مسبقًا يا عزيزي

(رفعت)..، ولو أنك قوى الملاحظة حقًا  
لكنت قد لاحظت أنني كنت أرثدي خاتمي  
في الصورة في حين كانت أصابعي بلا  
خواتم في الحقيقة!..  
ابتسم زوجها، قائلاً:

- إن الرجال لا يلاحظون هذه الأشياء  
أبدًا يا ملاكي..

- كان هذا لحسن حظي..

قلت مواصلاً جميع الصورة المبعثرة:

- طبعًا كان (نيكوس) هو الملاك الحارس

الذي جمع بقايا تمثال الكلب وأعادها للكوخ

ليلتها..؟

- طبعًا..

تنهدت في إرهاق.. كانت لعبتهما شديدة

الأحكام ؛ وكانت نتيجتها الحتمية هي

الخلاص من البروفيسور المزعج الذي لن يفتش أحد عن جثته بعد اليوم لأن القصة كلها ستعتبر ظاهرة غير قابلة للتفسير يحكيها كتاب الغرائب في كتبهم.. وكان اسم (ميخائيل) سيدخل كتب علم الآثار بدلاً من أن يدخل في قوائم المحكوم عليهم بالإعدام..

ضربة مزدوجة موفقة حقًا وقد تم التخطيط لها بعناية، لولا ذلك (الشيطان الأصلع) الذي ظهر لهما فجأة ليفسد كل شيء باستنتاجاته بدلاً من أن يؤيده..، وهكذا غدا الخلاص مني حتمياً.. وبنفس الطريقة النظيفة التي تؤيد ولا تدحض قصة (ميدوسا)...



والآن ليس لديهما حل سوى قتلى..  
ووضع تمثالي جوار الشاطئ ليحكي مأساة  
عثوري على الرأس الذي قذفت به  
الأمواج..

قال (ميخائيل) باسمًا وهو يصلح شيئًا ما  
في كاتم الصوت:

- فيم تفكر؟..

- في الهرب!..!

تبادل وزوجته نظرة جانبية خبيثة.. ثم  
قال:

- لا أمل.. إنني أستطيع أن أزيل كل أثر  
لتمثالك يا (رفعت) وأخفي كل ما يدلك  
على حقيقتنا.. ثم أتركك تحكي قصتك  
المعقدة للبوليس دون دليل واحد.. كلامك  
مقابل كلامي..، لكن هذا سيفتح أبوابًا لا

داعي لها.. وسيجد البوليس مئات الثغرات  
في موقفي... إنهم قادرون على إثبات آثار  
النحت في تمثال البروفيسور.. وقادرون  
على العثور على الكهف.. وسيجدون مئات  
البصمات - حيث لا ينبغي أن يجدوها -  
في كل مكان تقريبًا.. وسينزحون قاع بحر  
(إيجه) كله إذا أرادوا بحثًا عن جثة  
البروفيسور ورأس (ميدوسا) المزعوم..  
إن رجال البوليس جابرة وليس من  
مصلحتي إقحامهم في هذه القصة.. ألا  
توافقني؟!

- بلي...! لا يمكن خداع رجال الشرطة  
أبدًا.. - لهذا دعنا ننته من هذه القصة  
سريعًا..

ورفع فوهة المسدس نحو رأسي.



كلا.. لم أمت... بالطبع والا فما حكيت  
لكم حرفاً واحداً من هذه القصة.. فقط  
سقطت من على مقعدي فاقد الوعي من  
الرعب..، طبعاً هذا ما تظاهرت به.. وقد  
تحطمت إحدى عدستي نظارتي خلال  
سقطتي الحمقاء..

وهكذا سمعت (ميخائيل) يلعني باليونانية  
ويهب نحوي ليري ما هنالك.. أنفاسه  
تقترب مني وركبته تلامس وجهي.. ركبته  
اليمني.. إذن فالمسدس على بعد  
سنتيمترات أعلى من هذه الركبة حيث  
انحني ليفحصني.. لا وقت للتردد أو  
للتفكير في شعور من يخترق الرصاص

بسرعة البرق رفعت يدي و... أمسكت  
يده.. يده الملتفة حول زناد المسدس..  
وثنيتهما عند الرسغ ثم وجهت أعنف لكمة  
ممكنة إلى ذقنه.. كان هذا كافيًا في السينما  
كي يترك السلاح.. إلا أن الواقع أكثر  
تعقيدًا للأسف.. إن الوغد لم يترك المسدس  
بل ازداد تشبثًا به..!

ضغطت على الزناد فوق إصبعه بعنف..  
سمعت صوتًا غريبًا.. بوف!.. بوف!  
كسداة زجاجة من الفلين يتم انتزاعها..  
ولم أفهم هذا الصوت إلا حين سمعت  
صوت تهشم الأطباق على المائدة..، إذن  
هذا هو صوت الرصاص مع كاتم  
الصوت..!..!

كان يغرس أنامله في وجهي وهو يضغط  
على أسنانه ويبتسم بقسوة وثقة مما زرع  
ثقتي بنفسي (وهو تأثير كان يتعمده  
طبعًا).. إلا أنني واصلت التثبيت بالزناد  
كالمسحور...

لكماته تنهال على وجهي وعنقي..  
وصوته الرزين الهادئ، يردد:  
- هيا يا صغيري!.. إن هذه الألعاب لا  
تناسبك... ها!.. اتركه!

وهنا لمحت بطرف عيني (تابيئا) تتقدم  
نحو كيسها الملقى على الأرض وتخرج  
منه مطرقة.. مطرقة كبيرة.. ولمحتها  
ترفعها وتتقدم نحوي وهي تقول له  
باليونانية شيئًا ما..!

لم أترك مجالاً للصدفة.. تثبيت ذراعه بعنف.. نحوها.. و.. ضغطة أخرى على الزناد لأسمع المزيد من سدادات الفلين تنفجر..، ولمحتها تقذف نحو الحائط الخشبي لتصدمه برأسها ثم تسقط على الأرض والدم ينفجر من كتفها.. كانت هذه الإصابة هي التي رجحت كفتي.. إذ تشتت (ميخائيل) نوعاً.. وبدأت ثقته المفزعة بنفسه تتدهور..

مددت يدي وهو يجثم فوقي.. المزيد من سدادات الفلين.. بوف... بوف... كليك... لقد انتهت السدادات!.. فرغت خزنة الرصاص أخيراً!..، والآن نحن متعادلان إذا ما تجاوزنا عن قوته الجسدية المروعة..، وإلى جواره أرى المطرقة..

المطرقة التي أفلتت من يد (تابيثا) حين  
سقوطها.. إنها في متناول أناملي...  
أمد يدي لها.. أمسكها.. وبيد مرتجفة  
أرفعها.. أهوى بها على رأسه بأرق  
ضربة استطعت أن أوجهها له لأنني لا  
أريد أن أفجر رأسه..  
كان هذا كافيًا.. إذ سرعان ما تراخت  
قبضته.. وتهاك جسده من فوقي..  
تحسست نبض عنقه لأتأكد من أنه لم  
يمت.. ثم تحاملت على قدمي المتخاذلتين  
إلى الباب.. وفتحته.. ضوء الشمس  
بالخارج.. والناس الأبرياء..  
صرخت بالعربية بصوت مختنق  
مرتجف:  
- النجدة أيها الناس الطيبون...!.. النجدة!..



متهاكًا عدت إلى (تاييٲا) حيث أسندت  
ظهرها إلى الحائط ومددت قدميها على  
أرضية الكوخ.. كان الدم يغرق قميصها،  
وثمة نظرة ثابتة موزعة في عينيها وهي  
تنظر إلى وترتد دون كلل:

- لماذا يا (رفعت)؟.. لماذا؟.. لقد كنا  
اصدقاء..!!

بماذا ترد على هذا السؤال المستفز؟!.. لا  
شيء بالطبع.. لهذا! اكتفيت بسؤال آخر  
وأنا أضغط على مكان النزف بمنديلي:

- كيف تغيرت إلى هذا الحد يا  
(تاييٲا)؟!.. كيف تحولت إلى هذا  
الوحش؟!..



قالت لاهثة والعرق البارد يكسو جبينها:  
- من السهل.. أن تقول هذا.. لقد ضحيت  
بكل شيء من أجل.. (ميخائيل).. لكننا  
عرفنا.. الفقر.. والجوع.. لم.. يكن..  
أمامي.. سوى أن أظل مع زوجي حتى  
النهاية.. إن.. شيطانة الجامعة.. المترفة..  
تختلف كثيرًا عن زوجة.. عالم الآثار..  
البائس.. هل.. فهمت..؟..  
أغمضت عينيها وازدادت شفتاها جفافًا..  
القشور البيضاء تتجمع عند ركني فمها..  
- لأنك.. أحمق.. أحمق كعهدي بك يا  
(رفعت)..



وكان الرجال قد ملأوا الكوخ وشرعوا  
يتساءلون عما حدث.. حين أدركت أنني لم  
أعد أستطيع الصمود أكثر.. لم أعد  
أستطيع...!

وسقطت على الأرض فاقدًا وعيي بالفعل  
هذه المرة..



## خاتمة..

---

لم يمت أحد.. لقد نجا الزوج من ارتجاج  
المخ ونجت (تاييئا) من الرصاصتين اللتين

اخترقتا كتفها..، وكان تفسير موقفي  
عسيرًا في البداية لأن أهل الجزيرة ظنوا  
أنني أنا المعتدي على هذين الزوجين  
الوديعين..

إلا أن نظرة واحدة للكوخ الآخر  
ولمحتويات الكهفين أسفله بما فيها من آثار  
نحت وتمثال لي وكلب (تابيثا) و(نيكوس)  
نفسه ؛ كانت كافية جدًا لأن يفهموا كل  
شيء..

وحين حضر زورق الشرطة ليأخذ  
الزوجين.. تحاملت على نفسي وصافحت  
(ميخائيل) في تهذيب، وقلت له:

- في المرة القادمة لا تبني خدعك على  
أسطورة وثنية قديمة لأن هذا يفسد الأمر  
كله..

ثم إنني نظرت لأمواج البحر المتلاطمة..  
وهمست:

- هذا - بالطبع - لو كانت هناك مرة  
قادمة..

قالت (تابيئا) في تتمر وشعرها يتطاير  
مع الريح:

- كان خطؤنا الأكبر هو دعوتك.. ظننا  
أنك ستكون شاهداً معنا لا علينا..

- أنت تتسين يا صديقتي أنني مجرد هاو  
يبحث عن الأساطير ليهدمها.. وعلى كل  
حال أنا مدين لكما بئمن التذكرة...!.. هذا  
حقكما..

- لا داعي لذلك.. إنه واجبنا نحو صديق  
قديم عزيز مثلك..!  
- ما دمت مصرة..

وركبنا الزورق.. وهدر المحرك..  
لم ينظرا لي لحظة واحدة.. لكني ظلت  
أرمقهما حتى ابتعدا عن مجال بصري..  
والآن أعود لمصر..  
الآن أنعم ببعض لحظات الراحة والأمن  
بعيدًا عن هذا الكابوس..  
إلا أنه - في تلك اللحظات - كان هناك  
كابوس أكثر شناعة يخرج من مكمته  
لينتظر عودتي بفارغ الصبر..  
ولم أكن أعرف..  
كعادتي لم أكن أعرف...  
لكن هذه قصة أخرى..

د. (رفعت إسماعيل)

القاهرة ١٩٩٢

[تمت بحمد الله]

---

رقم  
الإيداع:  
١٦٠٦

---

---

المطبعة  
العربية  
الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧  
المنطقة الصناعية

بالعباسية  
القاهرة ت:  
- ٢٨٢٣٧٩٢  
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

مقدمة..

١ - الاسطورة..

٢ - هي..

٣ - صداقات قديمة..

٤ - رعب جديد..

٥ - أين هو؟

٦ - رعب في الجزيرة..

٧ - الشيء..

٨ - ليلة الرعب..

٩ - الغيوم تحتشد..

١٠ - الكوخ والنظارة الحجرية..

١١ - كشف الأوراق...

خاتمة..



## روايات همرية للجيب

ما وراء الطبيعة  
روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

### أسطورة رأس ميدوسا

تقول الأساطير اليونانية إن  
(برسيوس) قتلها وقطع رأسها ..  
ولكنها لم تحدد أبداً أين ذهب هذا الرأس  
بعدها ..!

إن من يجد هذا الرأس الذي تحولت شعيراته  
إلى أفاع سامة يملك أن يحول من يريد إلى  
تمثال رخامي بمجرد أن يريه العينين ..  
خذ الحذر .. قد تكون عيناها تنظران لك  
الآن!.. وحين ترفع عينيك من السطور  
لربما لاقتا عيني  
(ميدوسا) ..!!

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة حارس الكهف

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع  
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٢٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧  
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

الضمن في مصر  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

# Notes

---

[←1]

أجاممنون: واحد من أشهر أبطال حرب طروادة

[←2]

حقيقة.

[←3]

حقيقة.

[←4]

تقول الأسطورة اليونانية إن (بلوتو) شعر بالملل..  
فاختطف الحسنا (برسفونيه) لتكون زوجته في  
مملكته المظلمة (هيدز)، وهكذا حرمت الدنيا من  
الربيع الأبدي الذي كانت تبعثه (برسفونيه).. فيما  
عدا ثلاثة شهور (فصل الربيع) حين يسمح لها  
بإجازة تزور فيها أقاربها وصديقاتها في عالم  
النور.

[←5]

سوفوكليس: كاتب مسرحي يوناني كبير.. أشهر أعماله (أوديب) و(أوديب في كولونا).

[←6]

ماكسيميليان برليتز: أستاذ لغات عالمي له طريقة فريدة في تدريس اللغات والتي تتبعها سلسلة معاهدة (برليتز) في العالم كله.